ريجيس دوبريه

قضايا الاستراتيجية الثورية في أمريكا اللاتينية



دار الطليعة - بيروت

محمد يوسف اللمومني

قضايا الاستراتيجية الثورية
في أمريكا اللاتينية

ريجيس دوبريه

قضايا الاستراتيجية الثورية
في أمريكا اللاتينية

منشورات دار الطليعة - بيروت

الطبعة الاولى
ايار (مايو) ١٩٧٠

تهدف هذه الملاحظات الى الاجابة على السؤال التالي : كيف عدلت الثورة الكوبية من الصراع الطبقي الدموي الذي تخوضه الجماهير الشعبية في أميركا اللاتينية ضدالاستعمار والاوليغاركيات الحاكمة ؟ ما هو تفسير البطء في وتيرة نمو العملية الثورية وتفسير المصاعب التي تواجهها في تلك الحلقة الحاسمة من حلقات السلسلة الاستعمارية ؟ كانت الثورة الكوبية ، منذ أيامها الأولى وحتى الان ، تعتبر نفسها الفصيلة الطليعية لثورة اميركا اللاتينية ،وبعد ستة أعوام من النضال لم يتخل الشعب الكوبي ولا قادته عن ذرة واحدة من امميتهم البروليتارية . من هنا ، فالسؤال من الاسئلة الاكثر حيوية التي تطرحها الثورة الكوبية علينا وعلى نفسها في حوار متواصل ومحموم احيـــاناً . لاول مرة في تاريخ طرح السؤال ، سوف نعمد على طرحـه مثلما هو مطروح على الذين

يعيشونه في زحمة الاحداث ، أي بوصفه علاقة متبادلة شاملة بين القوى بحيث ان أي أختلال في التوازن يحدث في أحد الاقطار العشرين التي تتكون منها القارة الاميركية اللاتينية لا بد من أن يؤدي إلى اختلال في توازن الاقطـــار التسعة عشر الأخرى . اخلاصاً منا لهذه المحاولة ، لنشدد بادىء بدء ، على الطابع الجزئي والاستعراضي لهــذه الملاحظات التي تطرح هــذه العلاقة المتبادلة على أسس سياسية بالدرجـــة الأولى ، ثم على أسس عسكرية .

الردة المضادة للثورة في اوروبا الشرقية واميركا اللاتينية

أننا نفتقر ، من أجـــل اجابتنا على السؤال ، إلى دراسة تاريخية لظاهرة معقدة هي ظاهرة الردة التي تعقب انتصار الثورة الاشتراكية في بلد ما . لقد حدثت ثلاث ثورات بالغة الأهميـة خلال الخمسين سنة الاخيرة – في روسيا والصين وكوبا – الأمر الذي يجعل من وضع هــذه الدراسة مهمة مستعجلة . والدراسة المحددة (المتكيفة – طبعاً – مع الاوضاع التاريخية المختلفة)

لمحاولات التقليد التكتيكية والستراتيجية التي تؤثر في الأحزاب الثورية في البلدان المجاورة ، للحصار الاستعماري الذي يعقب الثورة ، هي التي تسمح لنا بان نعد الادوات الضرورية لمناقشة مسألتنا . فالفاشية في اوروبا ، وحرب التدخل الاستعماري في جنوب شرقي آسيا ، وتزايد السيطرة العسكرية على الانظمة السياسية في اميركا — كل هذه لا يمكن اعتبارها تراجعات آلية ، أو ارتدادات إلى اشكال سابقة من الهيمنة الطبقية . ولا يمكن ، بالتأكيد ، تحليلها بواسطة مقولة وحيدة الجانب كمقولة « نفي النفي » . ذلك انه بالرغم من جميع الفوارق المحددة في الزمان والمكان بين كوبا المعاصرة وبين الجمهورية السوفياتية الفتية ، فان ذلك لا يلغي اوجه الشبه الواضحة بينهما . فبعض تصريحات القادة الكوبيين — خلال عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ — التي اعلنوا فيها حتمية الثورات الجديدة في القارة الاميركية ، تذكر ، بالضرورة ، بخطابات لينين — خلال عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ — التي عبر فيها عن يقينه بقرب قيام انتفاضات بروليتارية في اوروبا الغربية . وهذا وهم ما لبث لينين ان تخلى عنه (على عكس تروتسكي) ، كما تخلى عنه القادة الكوبيون حالياً على ما يبدو . والتقليد العفوي للنموذج الكوبي في حرب الغوار (ولسنا نتحدث

هنا عن حرب الغوار في فينزويلا أو كولومبيا ، بل عن تجارب اخرى سوف نتعرض لها لاحقاً) يذكر هو أيضاً بتقليد النموذج البلشفي من قبل ثوار سبارتاكوس في المانيا ومن قبل العامية المجرية التي اعلنها بيلاكون ، وقد سحقت كلا الانتفاضتين في مطلع عام ١٩١٩ . ألم يمر الاستعمار في علاقته بكوبا بالاطوار ذاتها التي مر بها في علاقته بالاتحاد السوفياتي ؟ أولاً : لعبة التربص ، ثم حرب التدخل - الهجوم على خليج الخنازير في كوبا ، ثم الحرب الاقتصادية ، فالحصار الشامل ، يليه فتح الثغرات في الحصار عن طريق عقد اتفاقات جزئية لعبت بريطانيا فيها الدور الأول في كلا المناسبتين ، واخيراً ، انتهاج سياسة اصلاحية مشوشة في الاقطار المتاخمة لـ « بؤرة الشغب » . فقد سلكت الاجراءات الزراعية ، عقب الثورة المجرية ، في الاقطار الاوروبية المحيطة بالدانوب الطريق ذاته الذي سلكته الاصلاحات الزراعية التي دعا إليها « التحالف من أجل التقدم » ...ولاقت المصير ذاته أيضاً . يبقى أن نقول أن هذا التشبيه ليس مقارنة ، لكنه درجة الصفر من تقويم محدد للوضع الراهن ، يشدد على ما هو جديد جذرياً في العلاقة بين كوبا والاستعمار .

الروزنامة القارية

كانت التجارب الثورية في القارة والاخفاقات التي منيت بها متزامنة على نحو مذهل . ففي سنوات ١٩٥٩ و ١٩٦٠ و ١٩٦١ - سنوات الغليان البطولي - برزت البؤر الانتفاضية ، عفوياً ، في سانتو دومينغو ، وباراغواي ، وكولمبيا ، واميركا الوسطى ، بينما كان خولياو يلهب حماس جماهير شرقي البرازيل ، وبريزولا يصد انقلاباً عسكرياً بواسطة انتفاضة مسلحة في ريو غراندي دي سول ، كذلك شهد البيرو المحاولات الاولى لمصادرة اراضي الاقطاعيين ونشوء العصب الفلاحيـة الاولى في كوزكو . وفي سنتي ١٩٦٢ و١٩٦٣ ، الهزيمة والانقسام . اخفقت تجارب النضال المسلح في كولمبيا ، والاكوادور ، وبيرو ، وباراغواي ، اما في البرازيل فتشرذمت « العصب الفلاحية » التي دعا اليها بسبب النزاعات الداخلية ، وعجزت عن التحول الى تنظيـم سياسي - حركة « الثيرادانتيس » - كما كان مخططـاً لها . وتمكن العسكريون في الارجنتيـن من افشال انتصار ١٨ آذار

الانتخابي الجبار الذي رفع فراميني (احد اتباع بيرون) الى حاكمية بيونوس ايرس بأغلبية ساحقة ، كما نجحوا في قمع ردة الفعل الشعبية ضد انقلابهم . وتسنى لبيتانكور ان يظل ممسكاً بزمام الحكم في فينزويلا، فأضحت الحرب الثورية اصعب واطول مما كان مقدراً لهـــا ان تكون . في التشيلي ، انتصر فراي في انتخابات رئاسة الجمهورية بالاعتماد على اصوات النساء ، وقامت في البرازيل دكتاتورية فاشية سافرة . فاذا بموجة رجعية عارمة تجتاح القارة بأسرها .

نعلم الآن ان هذه الهزائم لم تكن نهائيـــة ، بل هي ، على العكس من ذلك ، قد فرضت على الحركة الثورية الانتقال الى مستوى ارفع من اعادة تنظيم قواها . ابتداء بعام ١٩٦٤ ، راح النضال المسلح يمد جذوره ويعزز مواقعه اعتماداً على قاعـــدة شعبية واسعة وراسخة في كل من فينزويلا وكولمبيا . فمصانع المتفجرات التي انشأهـــا الاستغلال الاستعماري في امـيركا اللاتينية ، عن غير قصد منه ، تستطيـع من الآن فصاعداً الاستغناء عن براءات الاختراع الاجنبية ، وعن النماذج الثورية المستوردة ، وهي آخذة باكتشاف وسائل الانتاج الخاصة بها والمتلائمة مـع تاريخها وتكوينها الاجتماعي وطابعها المميز . وفي لغتنا المتخلفة

ابداً من حيث استعاراتها ، يسعنا القول ان اميركا الجنوبية عاشت ، عقب قيام الثورة الكوبية ، نسختها الخاصة عن ثورة ١٩٠٥ الروسية ، وانها قد خرجت من هذا الطور حاليا . لهذا يمكن لهذه التجربة ان تكون موضوع تأمل منهجي الآن . على ان هذه المهمة ترتطم بعقبة عويصة : ثمة وحدة مصير ضامرة تربط بين أمم اميركا اللاتينية ، كما تبين من التزامن التاريخي الآنف الذكر .

وهذا ما عبرت عنه بوضوح تام تظاهرات التضامن مع كوبا التي اختبرت الجماهير خلالها ، عفوياً ، وافترضت وحدة قارية تمتد من مكسيكو الى الاورغواي . ان الحديث المتحذلق عن « عشرين اميركا لاتينية » هو موضوع الساعة الآن . فكل من يسافر من بوليفيا الى الارجنتين ، او حتى من سيلتا في شمال الارجنتين الى بوينس ايرس ، يشعر بأنه ينتقل من عالم لآخر ، ومن قرن لآخر . لكن ذلك لا يعدو كونه انطباعاً جغرافياً سطحياً . أليس التخلف والتشويه الاستعماري تفاوتاً في التطور الاقتصادي والاجتماعي داخل البلد الواحد ، وبين المدينة والريف ؟ أو بالاحرى ، أليس هذا التخلف والتشويه تركيباً

لمستويات متفاوتة من التطور تتلخص في وجود منطقة للنفوذ الرأسمالي والتجاري يحيط بهـــا ريف أقطاعي يسوده اقتصاد المنتوج الاوحد ؟ أليس هذا البؤس شرطاً لتلـــك الثروات ، والعكس بالعكس ؟ واذا لم يكن التخلف نتاجاً طبيعيـاً ، بل حصيلة تاريخية ، يمكننا القول ان اميركا الجنوبية تستمد وحدتها من تاريخها .

واذا كانت قد اضطرت الى ان « تتواجد » لكي يتسنى لها التحرر من النـــير الأسباني ، فهي مضطرة الآن ايضاً الى ان « تتواجد » لكي تتحرر من الاستعمار الاميركي . واذا كان بوليفار قد رفض اعتبار «غران كولمبيا» حرة الا بعد ان يتحرر البيرو (بشطريه الاعلى والاسفل) ، فان فيديل كاسترو ينم عن واقعية مماثلة لواقعية بوليفار ، لا بل متفوقة عليها ، في اعتقاده بان تحرر كوبا الناجز لا يكون ما دامت فينزويلا و كولمبيـــا مستعبدتين.واذا كان يحق للمرء ان يتحدثعن الثورة الاميركية اللاتينيــة فليس ذلك بسبب اميركا اللاتينيـــة نفسها ولكن —جدلياً— بسبب الولايات المتحدة، عدوها المشترك. لهذا السبب بالذات تكتسب افكار بوليفار اهمية متجددة بالنسبة لستراتيجية الطلائع الثورية في اميركا اللاتينية منذ قيام الثورة الكوبية .

التجزئة والثورة

لكن اميركا الجنوبية لم تصبح قارة بعد ، على الرغم من كل ذلك . فهي مجزأة على كافة المستويات – التنظيمات الثورية ، الانباء ، الاتصالات الشخصية – بفضل جهود الذين حولوا القارة الى ميدان موحد لمناوراتهم بالاعتماد على نزعة قومية اميركية مفتعلة تدعو لها « منظمة الدول الاميركية » وتعضدها برامج المساعدات الاقتصادية . فمنذ نسف مؤتمر باناما – الذي دعا بوليفار الى عقده عام ١٨٢٦ للتداول في موضوع انشاء اتحاد فيدرالي يضم جمهوريات اميركا اللاتينية – والعمليات الاميركية الشمالية تحرز الانتصار تلو الانتصار على صعيد القارة باسرها ، على الرغم من الضربة القاصمة التي اسدتها إليها الثورة الكوبية .

ويتكرر المشهد ذاته في كل من المناطق الاربع التي تنقسم إليها القارة – البحر الكاريبي ، كولمبيا ، فينزويلا ، الاكوادور ،

بيرو ، بوليفيا ، باراغواي ، تشيلي ، الارجنتين ، اراغواي . والبرازيل (التي تشكل منطقة بمفردها) — : فوضى المنظمات الثورية ، الجهل المتبادل ، وتشتت القوى . فالقائد الشيوعي الاكوادوري المختبىء مثلاً قد لا يعلم ، في مطلع عام ١٩٦٤ ، ان حزبه يعاني من انشقاق هو عين الانشقاق الذي يعاني منه الحزب الشيوعي البيروني بين جناح « سوفياتي » وجناح « صيني » علماً بأنه قد لا يكون في وضع يسمح له بأن يفيد من تجربة رفاقه البيرونيين لتفادي الاخطاء التي ارتكبوها ، وتحاشي السجال العقيم بين « الجناحين » . ان قطيعة كهذه مسرحية فعلاً . والتغلب عليها مهمة ملحة ، ليس فقط لانها تحول دون قيام استراتيجية موحدة ، بل وأيضاً لان الوقت المهدور والارواح المزهوقة بسبب انعدام الاتصال الداخلي خسارة لا تعوض . قال أحد المناضلين الذين نجوا من حطام البؤرة الانتفاضية الارجنتينية : « لو كنا نعلم ، في الوقت المناسب وبشيء من التفصيل ، عن تجربة حرب الغوار الفينزويلية ، لما كنا ارتكبنا الاخطاء المادية والسياسية التي كانت السبب الرئيسي في هزيمتنا ، وفي مقتل معظم مقاتلينا » .

ان التباعد في البرازيل (حيث يفصل ٤٥٠٠ كيلو متر بين

بورتو اليغري وريسيف) هو سلاح فعال بيد الدولة الاتحادية المسيطرة على الحكم في البلد بأسره – لتحطيم الوحدة القوميـة. واليوم الذي ينسق فيه العمل الثوري بين ريوغراندي دي سول وبيرنامبوكو (وهما المقاطعتان الاكثر نضجاً للنضال الثوري) لهو يوم سوف يعلن بزوغ عهد سياسي جديد في البرازيل . لكن مثل هذا التنسيق لم يكن ممكناً حتى الآن ، طالما ان التجزئة التي يفرضها التباعد تزداد تعقيداً بفضل تجزئة تاريخيـــية على مستوى المنظمات السياسية نفسها . فحركـة بريزولا مثــلا – المتمركزة في جنوب البرازيل – كانت تتسع وتقوى خلال عام ١٩٦١ بشكل خاص،وهو العام الذي شهد الانهيار السياسي للعصب الفلاحية بقيادة خوليـــاو ، والمتمركزة اساساً في شمال شرقيه. وهاك مثالاً عن التجزئة داخل احدى أمم اميركا اللاتينية: سئل نقابي عمالي وطالب من ساوباولو عن المقاطعـة الشمالية الشرقية. فأجابا ان كل ما لديهما من معلومات عنها لا تتعدى معرفة ان القمع كان بالغ الشراسة فيها بعد الانقلاب العسكري في نيسان ١٩٦٤ ، وان « نوعاً من الارهاب الابيض » قد سادها ، امـــا فيما عدا ذلك ، فلم يتقدم أي منهما بمعلومات تتفق مـع ما تقدم به الآخر . فالصحافة متكتمة او كذوبة باستمرار . وقـــد

أعرب الطالب عن انزعاجه . فالشمال الشرقي بالنسبة له هو العالم الثالث : خليط من اسطورة ومن ندم . اما العامل، فعنده أن الشمال الشرقي هو للبرازيل كما كانت الجزائر لفرنسا : بلد يستقدم منه ارباب العمل ، عندما يتسنى لهم ذلك ، اليد العاملة الرخيصة لتخفيض مستوى الاجور . باختصار : ان سكان المقاطعة الشمالية الشرقية هم في نظر سكان ساو باولو اناس ينتمون عملياً الى قومية أخرى .

الميثاق الاستعماري

بالرغم من الانقسامات الداخلية في اميركا اللاتينية ، الوطنية منها والدولية ، فالاستعمار الشمالي يعتبر امريكا الجنوبية منطقة واحدة لانتاج المواد الأولية ، وحقلاً للمناورات السياسية التي وان لم تكن دائماً موحدة ، فهي متناسقة على أقل تقدير . فعن طريق «التحالف من أجل التقدم» و « مصرف الانماء الاميركي المشترك » والهيئات المتخصصة الاخرى ، يخطط الاستعمار لاستغلال القارة بوصفه سيداً عليها ، ويؤمن « حمايتها سياسياً وعسكرياً » عن طريق « مجلس الدفاع الاميركي المشترك »

و« منظمة الدول الاميركية » . فلنحاول إذاً استعادة الشكل الذي تتخـــذه العلاقات الاقتصادية التي تربط اميركا الجنوبية باميركا الشمالية .

ان « الميثاق الاستعماري » لا يزال ، قائمـــاً كما كان عليه في السابق دون تغير يذكر : مبادلة المواد الاولية لقـــاء السلع المصنوعة ، النفط لقـــاء البنزين ، والكوكا لقاء الشوكولا ، والحديد لقاء السيارات ، إلى اخره . وقــد ورد في احد تقارير « لجنة الامم المتحدة لشئون اميركا اللاتينية » أن تدني شروط التجارة قد أدى إلى خسارة مباشرة تبلغ ٢٦٦٠ مليون دولار تكبدتها اميركا اللاتينية بأسرها عام ١٩٦١ . وإذا اضفنـا إلى هذا المبلغ الارباح التي استرجعتهـــا الشركات الاميركية إلى الولايات المتحدة – وتبلغ هذه ١٧٣٥ مليون دولار – والاموال التي تغادر القارة لتسديد الديون – ١٤٥٠ مليون دولار –نصل إلى مجموع قدره ثلاثة أضعاف ما يدخل القـارة ، نظرياً ، من أموال المساعدة والاستثمارات التي تقدمها منظمة « التحالف من أجل التقدم » للقارة والتي تبلغ ٢٠٠٠ مليون دولار .

ما هي الخطة الستراتيجية الكامنة وراء الوعود البراقة التي

كان الاستعمار ينوي تنفيذها عندما أنشأ منظمة « التحالف من أجل التقدم » في بونتا ديل أستي عام ١٩٦١ ؟ انها خطة تهدف إلى اخفاء « الميثاق التجاري » والدكتاتورية العسكرية المألوفة التي يفترضها (وخير مثال عنها هو نظام حكم بيريز خيمينيز في فينزويلا الذي قلده ايزنهاور وسامارفيما خلال مـــدة رئاسته) وراء براقع عملية تصنيع وطنية حققنت بها اميركا اللاتينية بـين ليلة وضحاها عن طريق تصدير مكثف للرساميل الاميركيـة . ومعظم هذه الرساميل ذات مصادر فردية تجذبها ، بداهة ، اليد العاملة الرخيصة ، والجيش الاحتياطي الضخم من الايدي العاملة الرخيصة ،والتبادل الحر الذي يسمح باسترجاع الارباح ،وانعدام القيود الضريبية ، ومعدل من الارباح اعلى بكثير مما هو عليه في الولايات المتحدة نفسها . وهكذا فان أصل هذه الرساميل حدد توجه الاستثمارات نحـــو الفروع الاكثر ادراراً للربح بالنسبة للاحتكارات ، أي نمو الصناعات الاستخراجية ، مخضعاً اياها على كل حال ، للخطط الستراتيجية التي وضعتها الولايات المتحدة لاستغلال المواد الاولية على الصعيد العالمي .

فقد اهملت مثلاً مناجم التانغستن والانتيموني البوليفية

ـ وهي مناجم غنيـــة جداً ـ لان الولايات المتحدة لم تكن بحاجة اليها ، ولأن تشغيلها يؤدي الى تخفيض الاسعار في السوق العالمية . كان بالامكان تقديم هـذا المشروع في « زي وطني» عن طريق شركات مختلطة وهمية تملأ مجالس ادارتها « بالبرجوازيـين الوطنيين » وتعطى اسماء باللغة الاسبانية . فتولد طبقة جديدة من المساهمين الوطنيين ، شركاء المساهمين الاميركيين الشماليين ، يختفي وراءها الاستغلال الاجنبي . وكما بمقدور هـذه الفئة ان تصفي علاقات الانتـاج الاقطاعية ، سبب الوضع السياسي «المتفجر» في اوساط غالبية الامة الفلاحية (حيث يسود الايجار الطبيعي ، والقنانة ، والملكيات الكبيرة ، والاراضي المهملة ، وانخفاض انتاجية الارض) ، وان تباشر بعملية تنمية خجولة . لكن هذه الاشكال المتقدمة من التغلغل الاستعماري قـد تهدد بوضع حد لـ «ميثاق الاستعماري». فسماحها بنمو صناعاتتتولى تحويل المواد الاولية ، قد تشجع « البرجوازيات الوطنية » على اقامة علاقات تجارية مـع جميع الدول ، فتقضي بذلك على الاحتكار التجاري الذي تملكه الولايات المتحدة .

منظمة التحالف من اجل التقدم

وعياً منها لهذه الاخطار، عملت منظمة « التحالف من اجل التقدم » على توظيف معظم مساعداتها في استثمارات غير منتجة : الطرق ، المستشفيات ، المدارس ، ومـا شابه ، بحيث تتفادى بروز صناعات تملك القدرة على المزاحمة . وقد اعتمدت على هذه الاستثمارات لكي تداوي عوارض « التخلف » الخطيرة ، واخفاء اسبابها. فكانت في الواقع مناورة سياسية ذات ذريعة اقتصادية. الان يعترف القائمون على هذا المشروع بانه مني بفشل ذريع ، وسوف نتعرض عن قريب للنتائج السياسية لهذا الفشل . لقد اخفق المشروع لان تصفية الاقطـــاع الزراعي تستلزم تحويل علاقات الانتاج ككل ، ما دام الاقطاع الزراعي ليس مرحلة كاملة من مراحل تطور البرجوازية التجـــارية والبرجوازية الزراعية ــ التصديرية وحسب ، بل وايضــاً من مراحل تطور البرجوازية الصناعية نفسها في بعض الاحوال كما في كولمبيـــا وفينزويلا . قد توجد تناقضات بين هذين الجناحين من اجنحة

الطبقة المسيطرة ، إلا أنها تناقضات ثانوية يسهل تجاوزها عاجلاً أم آجلاً في الصراع ضد العدو الرئيسي : الثورة . ان عمليــة التضخم قد أدت إلى تفاقم البطالة ، وانخفاض الأجور ، وإلى انقباض اقتصادي مفاجىء . ولم يكن بالامكان التعويض عن هذا التضخم بزيادة الانتاج لان ذلك لن يؤدي إلا إلى انتاج غير قابل للتصريف بسبب الافتقار إلى سوق داخليــة واسعة ، ولا يمكن قيام هذه إلا باجراء تحويل جذري في علاقات الانتاج شبه الاقطاعية ينجح في تحويل الفلاحين إلى مستهلكين . من هنا ، لا يمكن التصدي للتضخم إلا بقروض اجنبيــة جديدة ، تسدد على المدى القريب ، وبهذا يحكم اغــلاق حلقة « التخلف » المفرغة : مراكمة ديون جديدة لتسديد الديون القديمة . ويجدر الانتباه ، فضلاً عن ذلك ، إلى أن برامج المساعــدة الاقتصادية لم تقدم اكثر من نصف المبالغ التي وعدت بتقديمها عندما انشئت .

لنوجه اهتمامنا الآن شطر طبيعة برامج المساعدة الشهيرة التي تعمل بها منظمة « التحالف من أجل التقدم » . أن هذه البرامج هي الشكل الخاص المفضوح لتصدير الرساميل . فقد صرح السيد فاولر هاملتون ، مدير المساعدة الاجنبية الاميركي ، امـــام

مجموعة من رجال الاعمال في الولايات المتحدة بما يلي : « ان كل دولار يغادر جيوبنا يجب ان يعود الى الولايات المتحدة بعد ان يكون قد استخدم لاستيراد سلع بقيمة دولار » .

١ – ان « التحالف من أجل التقدم » يلعب ، في الواقع ، دور غزو اسواق جديدة أو تدعيم الاسواق القديمة . ويشترط استخدام الاموال المقروضة ، في معظم الاحوال ، في شراء سلع اميركية شمالية مصنوعة بأسعار تزيد عن مستوى السوق العالمية بنسبة تتراوح بين ٥٠ و ٢٠٠ بالمئة . والهبات المقدمة لكولمبيا واقطار جبال الانديس على شكل سلع (كالحليب المجفف والزبدة المعلبة مثلا) على يد « فيالق السلام » – تضم شباناً من اميركا الشمالية يتطوعون لتأدية دور خليط من العمل التجسسي والنشاط الكشفي في جنوب اميركا – ما هي الا ادوات للتغلغل والابتزاز في أوساط الفلاحين .

٢ – ان تصدير الفائض من المنتجات الزراعية الاميركية

الشمالية (بمقتضى المرسوم رقم ٤٨٠) يحقق غايتين اثنتين :

اولاً : يخفف من غلواء ازمة تزايد فائض الانتاج الوطني في الولايات المتحدة .

ثانياً : يدر الارباح على شركات الشحن الاميركية الشمالية التي تفرض رسوم شحن خيالية . ذلك انه بالرغم من ان الدول التي « تتسلم » هذه المساعدات تدفع اثمانها بالعملات المحلية ، إلا أن اكلاف نقل وتوزيع وتعليب المنتجات تقع على عاتقها .

٣ - على كل دولة « تتسلم المساعدة » من منظمة « التحالف من أجل التقدم » ان تؤمن من جهتها ما يلي: اعالة جهاز ضخم من الموظفين والفنيين الاميركيين الشماليين يعيشون على مستوى معيشي مرتفع جداً (مأكولات مستوردة، عضوية في اندية الغولف والقمار ، خدم، وما شابه) ، وتنفيذ مشاريع الاشغال العامة (كشق الطرق ، وازالة الغابات ، وانشاء قنوات المياه ، والانارة) في المناطق التي تعمل فيها الشركات الاميركية الشمالية

وحيث توظف الاستثمارات. طبعاً ، يجري تلزيم هذه المشاريع لشركات هندسية اميركية شمالية التي ترسم الخرائط الخاصة بها وتعين مواقعها بواسطة تجهيزاتها وفنييها. وهـــذه طريقة بارعة لتخفيض اكلاف الانتاج عن طريق القائها على عاتق الطرف المستغل .

تلخيصاً ، نقول ان «التحالف من أجل التقدم» ينظم ويستر ويدعم العملية التي تقوم بمقتضاها اقطار اميركا الجنوبية المتخلفة بتغذية تراكم رأس المال في الولايات المتحدة الاميركية وزيادة حجمه .

التحرر الوطني والتضامن القاري

هكذا تلبي التجزئة ، الميراث الموضوعي للحرب التي سادت القارة في القرن التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين ، حاجات الستراتيجية الاميركية الشمالية حتى ولو اقتصرت تلبية هـــذه الحاجات على الحد من المبادلات التجارية بين دول اميركا الجنوبية أو الاشراف عليها بغية الاحتفاظ بالاحتكار التجاري ، أو على تنظيم « احلاف مقدسة » قليلة الاكلاف ، أو انشاء الاحزمـة

السياسية الواقية . قبل شهرين من موعد الانتخابات التشيلية في ايلول ١٩٦٤ ، شهدت بوليفيا انبعاثاً مفاجئاً للقومية البوليفية ولمشاعر العداء لتشيلي – وهذا ترسب من ترسبات حرب المحيط الهادىء عام ١٨٧٩ التي فقدت بوليفيا من جرائها منفذها إلى البحر . وفي الوقت ذاته – وهنا المفاجأة الغامضة الاخرى – اخذت الارجنتين تطالب تشيلي باراضٍ زعمت انها لها في باتاغونيا ، واستدعى البلدان قوات الاحتياط ... إلا ان الحملات الدعائية همدت فجأة بعدما احرز فراي ، مرشح الحزب الديمقراطي المسيحي ، انتصاره الانتخابي .

الاكوادور ضد بيرو ،بيرو ضد بوليفيا وتشيلي ، بوليفيا ضد باراغواي ، تشيلي ضد الارجنتين : لا حد لمبررات رفع المطالب القومية (وهي مطالب مشروعة احياناً ، كما هو الحال بالنسبة للاكوادور وبوليفيا) وللنزاعات حول الحدود . وهكذا تسمح التجزئة باستعمار الأمم الصغيرة باحقر شكل ممكن . وبوليفيا أفضل مثال على ذلك . ففي ٢٢ آب ١٩٦٣ ، عقدت حكومة باز استنسورو اتفاقاً تجارياً مع الولايات المتحدة ، تعهدت بموجبه قطع علاقاتها التجارية باوروبا وبالبلدان المجاورة ، والاكتفاء بالاستيراد من الولايات المتحدة لقاء مبالغ من المال تقدم إليها

بمقتضى برامج المساعدة لمنظمة « التحالف من أجل التقدم » .

من أجل المزيد من الوضوح نقول : ان وجود أمم اميركية منفصلة ، وحتى متبادلة العداء، هو واقع يتعذر الغاؤه ، فلا يمكن للنضال الثوري الراهن إلا أن يكون نضالاً من أجـــل التحرر الوطني . ومطالبة العمليات الثورية الوطنية في اميركا الجنوبية بالوحدة القارية كشرط مسبق ، تعني تأجيل هـــذه العمليات إلى ما لا نهاية . خــلال الانتفاضات الاخـيرة في باناما ، التي اثارها الاميركيون في منطقة القناة ، اراد بعض التروتسكيين رفــع شعار : « اعيدوا بانامـــا الى كولمبيا » . وهـــذه العناصر ذاتهـا غالبـــاً ما تردد شعار تروتسكي الكهل : « الولايات الاشتراكية المتحدة في اميركا » . ولكن لا العــودة الصفائية الى حرفية الماضي التاريخي ، ولا الدعوة المستقبليــة الاسطورية (كشعار الولايات الاشتراكية المتحدة في اميركا) قادرة على تذويب واقع التجزئة الراهن ، والا تخون النضالات الحالية لكل أمة عن طريق احالتها باستمرار الى وحدة وهمية هي وحدة جميع الأمم الاميركية . ان ثوريي البحر الكريبي ، الذين لم ينسوا حلمهم القديم في انشاء اتحاد فيدرالي لجزر الانتيل ،

يدركون أن هذه الرؤيا العظيمة لا تعبر عن نفسها عملياً إلا بمهمات تافهة ومبعثرة ومحدودة الأفق . كما في أيام بوليفار ، كذلك في ايامنا ، الشعلة تنبثق في فينزويلا وكولمبيا ، وتتأجج متجهة نحو الجنوب ، ولكن من عدم الجدية بمكان ان نتوقع بأنها سوف تجتاح ، بين ليلة وضحاها ، كل هذه الامبراطورية المتداعية ، الممتدة بين رمال كارتاغينا وهضاب بوليفيا .

ولكن اذا كان الوعي القاري ، في بعض المناطق ، متخلفاً عن اللحاق بهذا التضامن الموضوعي ، فعلى أي صعيد تبلغ اميركا الجنوبية رؤية اميركية شاملة لنفسها في الوقت الحاضر ؟ ان القادة السياسيين الذين غالباً ما يضطرهم الارهاب الى السفر للخارج يعتقدون ان اوروبا ، رأس الجسر الى افريقيا وآسيا ، هي الجواب على هذا السؤال . وباتوا يعتقدون مؤخراً انه كوبا أيضاً . يصعب بلوغ هذه الرؤية انطلاقاً من اوروبا الغربية اكثر من أي مكان آخر ، وذلك لأسباب بدهية . أما في كوبا ، فلا يجوز ان ننسى ان للوعي القاري هناك افضلية عليه في القارة نفسها . فعلى البر الرئيسي ، اختبرت فئات اجتماعية هامة ، والبرجوازية الصغيرة المدينية منها بخاصة ، حملة تخدير مكثفة عن طريق الراديو والسينما والصحافة التي يسيطر عليها الاستعمار .

فبعد ان قطعت جميع الحكومات (باستثناء مكسيكو) علاقاتها الدبلوماسية بكوبا ، واغلقت جميع مكاتب وكالة الانباء المستقلة « بريسنا لاتينا » ، وبعد الرقابة المستمرة على الانباء ، والتهديدات الشديدة اللهجة لكل من تسول له نفسه السفر الى كوبا – بعد هذا كله ، لا يمكننا ان ننكر ان الاستعمار قد نجح ، إلى حد ما ، في تحقيق هدفه في عزل كوبا . ولكن ذلك لم يفعل فعله إلا على مستوى القمة ، أي بين الفئات الاجتماعية التي تصل إليها الدعاية الاستعمارية ، وليس بين الفلاحين .

وفي عام ١٩٦٥ ، لا يزال من الأيسر على مواطن باريسي لا مبالي ان يتابع احداث الثورة الكوبية من مناضل ثوري في ليما أو بوغوتا حيث توزيع الصحافة اليسارية المستقلة محدود جداً أو سري .

هكذا ، تبرز على نحو أوضح صعوبة العمل النظري والعملي المتصل بحركة التحرر التي يعاني منها الاميركيون اللاتينيون. فجنوب شرقي آسيا تملك الان قاعدة ضخمة للنفوذ والتنمية النظرية متمثلة بالصين الشعبية وبجمهوريتي فيتنام وكوريا الديمقراطيتين . أما إفريقيا ، فتستلهم الجزائر والكونغو –

برازافيل ، وغانا ، وزنجبار . وقــــد توثقت بين طلائع هاتين القارتين وشائـج أخوة مكينة ، وبعض اشـكال العمل المشترك ومنها مؤتمرات التضامن الاسيوي ــ الافريقي . أما اميركا ، في المقابل ، فمفككة ومعزولة عن هذه الحركة العالمية . وعلى الرغم من وجود كوبا ، فان بعض المنظمات الثورية في اميركا اللاتينية لا تزال واقعة تحت النفوذ العقائدي للحركة العمالية الاوربية ــ التي غالباً ما تكون غريبة عن قضاياها الحقيقية .

الثورة تثوّر الردة المضادة للثورة

هكذا ، يتضح أن تأخر الاحزاب الثورية في اميركا اللاتينية وانشقاقها ظاهرة خطرة فعلاً . ذلك انها ، شاءت ذلك أم أبته ، موحدة من الخارج في اوضاعها واستراتيجياتها. والثورةالكوبية قد كرست هذه الوحدة بالرغم من ذاتها ومن هذه الاحزاب . على ان التاريخ لن يكون جدلياً حقاً لو لم يكن الدرس البليغ الذي توفره ثورة ما للشعب الذي قام بهــــا صالح بالقدر ذاته كدرس تتعلم منه الردة القارية المضادة للثورة.ان الثورةالكوبية قد عملت إلى حد كبير علىتحويل شروط تحويل اميركا اللاتينية ،

من نهـــر الريوغراندي إلى جزر الفالكلاند . ذلك أن الثورة الاشتراكية تثوّر أيضاً الردة المضادة لها . لهـذا السبب ، فمنذ ولادة الثورة الكوبية ، وبمجرد وجودها كثورة بالنسبة للاستعمار (أيضـاً) ، حكمت كوبا باخفاق على كل محاولة ميكانيكية لتكرار تجربة السييرا مايسترا اعتماداً على وتيرة عملها ذاتها وعين التحالفات والتكتيكات . باختصار : ان الباب – باب الثورة الاشتراكية – الذي فتحته كوبا على حين غرة ، على مرأى من الاستعمار قد احـكم اغلاقه من قبل الاوليغاركيات الحاكمة من الداخل ، والاستعمار المتأهب للتدخل عنـد ادنى بادرة ، من الخارج . فكيف يكون بمكنة الشعوب الشقيقة ان تعيد اقتحام هذا الباب ؟ أما بممارسة ضغطازود واطول ، وأما بان تعمد إلى فتح باب جديد يختلف موضعه بالنسبة لكل امة من الامم ، في أضعف مكان من الجدار .

ما هي التحولات التي احدثتها كوبا ؟

١ – أن كوبا قـد دفعت بغتة بالصراع الطبقي في اميركا اللاتينية الى مستوى أرفـــع ، لم تكن الطبقات المستغلة ولا طلائعهـا مستعدة له .

كلنا يعلم ان كوبا عمدت على الصعيد العالمي الى نسف القدرية الجغرافية التي مارست ، بالاشتراك مع الاتجاه البراودري [1] ، تأثيراً كبيراً على الاحزاب الشيوعية في اميركا اللاتينيـــة بعد الحرب العالمية الثانية. الآن اضحى بالامكان الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها . وهذه العبارة ، عندما تؤخذ على محمل الجد ، لا تزال تصدم العديدين في اميركا اللاتينية بسبب ما تناقض من العادات الذهنية ، فلم تستوعب رأساً . فحتى في أعنف اطوار الحرب الاهلية الكولمبية (١٩٤٩–١٩٥٧) ، ظلت الفكرة غريبة على الحزب الشيوعي الكولمبي وعن يسار الحزب الليبرالي عندما كانا يسيطران معاً على جيش فلاحي فعلي (علماً بأن النزاعات الداخلية كانت تنهك قواه) . وكان الحزب الشيوعي البرازيلي الحزب الوحيد الذي قرر، على أثر اخفاق انتفاضة عام ١٩٣٥ ،

---

١ – كان ايرل برادور الامين العام للحزب الشيوعي في اميركا الشمالية بعد الحرب للعالمية الثانية . وكان يمثل الانحراف اليميني في الاممية الشيوعية عندما حلها ستالين عام ١٩٤٣ . اذ دعا الى تحويل الاحزاب الشيوعية في الغرب الى نوادٍ للنقاش مفتوحة امام الجميع . وقد ادان جاك ديكلو (أحد زعماء الحزب الشيوعي الفرنسي) هذا الانحراف في رسالة لا زالت واسعة الانتشار في اوساط مناضلي اميركا اللاتينية .

السعي الى الاستيلاء على السلطة في بيان اصدره عام ١٩٥٠، على ان ذلك تعبير عن اتجاهات « صبيانية يسارية » متزمتة أكثر مما هو استراتيجية بالمعنى الصحيح (وقد حاول هـذا الحزب انشاء جيش ثوري من فلاحي بارانا الشمالية وغوياس ، ولا تزال بعض اثار هذه المحاولة تطبع مقاطعة فورموزا في اقليم غوياس). على أثر قيام الثورة الكوبية ، حـدد الحزب الشيوعي التشيلي لنفسه هدف الاستيلاء على الحكم بالوسائل الشرعية من خلال صندوق الاقتراع (المؤتمر الثاني عشر ، اذار ١٩٦٢) . وتبنى الحزب الشيوعي الارجنتيني الشعار الذي اطلقه امينه العـــام كودوفيا في آذار ١٩٦٣ (المؤتمر الثاني عشر للحزب) : « نحو الاستيلاء على السلطة من خـلال نضال الجماهير » . وفي مؤتمره الثالث ، كان الحزب الشيوعي الفينزويلي أول من عالج بجدية موضوع انشاء سلطة ديمقراطية شعبية ، وقد ترك لمسيرة الممارسة الثورية نفسها أمر التقرير في أصلح طريق تسلكه بيتانكور على الجماهير، لم يكن من طريق غير النضال المسلح . ان التطور ذاته – الذي يستغرق ما معدله ثلاث سنوات – تشهده كولمبيا حالياً ، حيث راح الحزب الشيوعي ، بعد مباشرة النضال المسلح في منطقة ماركيتاليا ، يتخلى عن الخط السلمي رداً على الارهاب

الذي يتعرض له . وهكذا ، فإن دفاع الجماهير عن نفسها يؤدي بها الى اعتماد تكتيكات حرب الغوار الهجومية – وهذا ما تكهن به الرفاق الكولمبيون منذ أمد بعيد .

ولكن في الوقت ذاته الذي كانت كوبا تبرهن فيه على انه لا يمكن الحكم على لا واقعية الاستيلاء على الحكم ، على نحو قبلي ، نجد أن النتائج الوحيدة الجانب للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي والخط العام الذي تبنته انذاك حركة الطبقة العاملة العالمية ، حدت بالأحزاب الى انتهاج خط «الديمقراطيات الوطنية » و « الجبهات المشتركة مع البرجوازية » – وهو غير الطريق السلمي الذي دافع عنه الحزب الشيوعي الكولمبي (في مؤتمره التاسع ، عام ١٩٦٢) ، والحزب المكسيكي (في مؤتمره الثالث عشر) ، والحزب البوليفي قبل انشقاقه (في مؤتمره الثاني ، عام ١٩٦٤ ، حيث اعتبر الطريق السلمي الطريق «الأكثر رجوحاً ») ، والحزب التشيلي (في مؤتمره الثالث عشر) ، والحزبان الارجنتيني والبرازيلي . وتجربة هذا الاخير مهمة بسبب ما تكشفه من قضايا . ففي عام١٩٥٨ ، وتحت نفوذ « تصفية الستالينية » المباشر ، حقق هذا الحزب انعطافاً كاملاً ، وليس بغريب عنه . فوجه ، في آذار من العام نفسه ، نداء إلى

الشيوعيين لتشكيل « جبهة وطنية وديمقراطية موحدة » آلت قيادتها ، منطقياً ، إلى البرجوازية الوطنية . بعد سنة من ذلك، انتصرت الثورة الكوبية . ومنذ ذلك الحين ، ومهما بذل مناضلو الحزب الشيوعي من جهود لتحويل أنفسهم إلى « خراف طيعة » وإلى حليف احتياطي للبرجوازية «المتقدمة» وإلى سند انتخابي للمشير لوت ، يزداد اقتنــــاع البرجوازية بخطورتهم مع ازدياد طواعيتهم لها . فأنشأ حزب البرازيل الشيوعي (الموالي للصين) ، واستجلب إلى صفوفه بعض الكوادر الجيدة من حزب بريزتيس[1]، وخاصة في جنوب البلد . ان قطاعات واسعــــة من الطبقات الوسطى انضمت إلى لاسيردا والعسكريين ، خوفــاً من الثورة الكوبية . أما البرجوازية الوطنية الشهيرة، فقد تخلت عن غولار في منتصف الطريق ، وعقب ذلك الانقلاب العسكري في الاول من نيسان ، عام ١٩٦٤ . وكان الحزب الشيوعي انذاك مشتتاً ، أنهكه القمع والنزاعات الداخلية ، فعجز بالتالي عن قيـــادة التذمر الشعبي العنيف : وهـــذا مثال من الأمثلة العديدة عن الانتكاسات التاريخية التي أدت اليهـــا النزعة المركزية

---

١ — بريزتيس هو الامين العام للحزب الشيوعي البرازيلي (المترجم) .

الدوليـة ، بوصفهـا عملية نقل ميكانيكي لشعارات وخطط تكتيكية وضعت في بيئة تاريخية مغايرة للبيئة التي تطبق فيهـا .

إزاء هذا المأزق ، تمخضت كوبا – بدون علمها – عـن حوالي خمسين منظمة ثورية على هامش الأحزاب الشيوعية ، كلها مصممة على العمل المباشر . على أن عدة سنوات مـن العمل الثوري قد أوضحت الآن أن البطولة ليست كافية بمفردها، وان هذه المنظمات كانت تفتقر إلى النضج العقائـدي ، وإلى الحس السياسي بالدرجة الاولى فضلاً عن الانعتاق من التزمت، والجدية في التهيئة للنضال المسلح . فسرعان ما تلاشت هـذه المنظمات المسماة كاسترونية ، على الأقل باشكالها الأصلية ، بسبب حداثتها وعفوية تكوينها تحت تأثير كوبا ، وانحباسها ضمن جدرالنموذج الكوبي . « الحركة العمالية الطلابية الفلاحيـة » في كولمبيا ، « الاتحـاد الثوري للشبـاب الاكوادوري » في الاكوادور ، «حركة اليسار الثوري » و « جبهة اليسار الثوري » في البيرو ، « اشتراكية الطليعة » في الارجنتين (مع آلاف الأجنحة التابعة لها) ، و « حركة تعاضد الفلاحين » ويسار الحزب الاشتراكي في الاورغواي ، حيث أعلنت نقابة عمال السكر نضالاً مسلحاً

في الدولة المسماة « سويسرا اميركا اللاتينيــة » . تلخيصاً : ان الجبهـــة الثورية لا زالت حتى الآن عاجزة ، في داخل الاحزاب الشيوعية (باستثناء فينزويلا وكولمبيا ، المؤهلتـين لأن تصبحا القاعدة) أو في هذه المنظمات الجديدة التي لا ماضي لها ، عن الاستجابـــة للارتفاع الموضوعي في مستوى النضال الثوري . فظلت كوبا معزولة .

أما **على الصعيد النظري** ، فإن الثورة الكوبية قد أعادت الاعتبار للماركسية في اميركا اللاتينية عـــن طريق انتصارها عملياً . ذلك أن الماركسية كانت تائهة بين شكلين من التشويه : الاتجاه الآبري (نسبة الى APRA : التحالف الشعبي الثوري الاميركي) والماركسية الميكانيكية ، وكلاهما معزول عـــن الواقع القومي . ويجـدر التذكير بأن التحالف الشعبي الثوري الاميركي – الذي ولد عـام ١٩٢٤ كجبهة موحـدة تضم ، على صعيد القارة بأسرها ، المجموعات والاحزاب المناهضة للاستعمار والذي تحول الى حزب ذي منظمات فرعية في كل قطر مـــن أقطار اميركا اللاتينية عام ١٩٢٩ – كان مشتلاً لجيل بأسره من الحركات البورجوازية الصغيرة المعادية للاستعمار ، لبيتانكور وحزب العمل الديمقراطي ، لبيرون ومذهب «الجستيسياليسمو»

الى حد ما ، وللحركة القومية الثوريـــة في بوليفيا (علماً بأن هاتين المنظمتين قد تأثرتا بالفاشستية) . ان النزعة « الاندو — اميركية » لمؤسس «آبرا» وزعيمها — هايادي لا توري — نفذت متسترة باسم الماركسية ، أعظم خيانة تاريخية عرفتها أمـيركا اللاتينية خلال الثلاثين سنة الاخيرة . فخلال عشرين سنة على الأقـل — من ١٩٣٠ الى ١٩٥٠ — كان هايادي لا توري مرشد النضال ضد الاستعمار لجيـــل بأكمله من البرجوازيين المتنورين وحتى من العمال (في بيرو على الاقل) ، الامر الذي سمح لاحد تلامذة المعلم بأن يكتب : « هيغـل + ماركس + اينشتاين = هايادي لا توري » . كتب هـــايا في « آبرا والنضال المعـادي للاستعمار » (١٩٣٦) : « ان العقيدية الآبريـــة هي مواجهة جديدة ومنهجية ، ضمن اطار الماركسية ، بين الواقع الاندو — الاميركي وبين الموضوعات الـتي صاغها ماركس لاوروبا » . وقد أدت به هذه المواجهة الى التوصل الى فكرته الشهيرة عن « الزمن التاريخي المكاني » . ويقول فيها انه بما أن الاشتراكية ستولد في اوروبا من التناقضات الداخلية للرأسمالية ، وبما ان الرأسمالية تتخذ في اميركا شكل الاستعمار ، فمـن الضروري الحث على السيطرة الاستعمارية . . بغية الإسراع في عملية التحرر الوطني . وقد سعت هذه الدعوة السفسطائية الى تـبرير نظري

لها في أخبث نزعة مادية ميكانيكية يمكن لعقل ان يتصورها : بما أنه يبدو استحالة قفز المراحل فثمة فائدة كبيرة تجنى من الاستعمار الاميركي . وهذه فكرة أدت بهايا الى أن يتحول ، بعد عام ١٩٤٥ ، الى واحد من أهم وبالتأكيد أشهر ، عملاء الاستعمار الاميركي الشمالي في القارة الاميركية اللاتينية . عندما تبين أن الماركسية ، بوصفها نظرية تاريخ شاملة ، تملك موطىء قدم فعلي في اميركا اللاتينية ، عمدت كوبا في آن واحد على تصفية كل الانحرافات اللاحقة بالماركسية وجميع الناطقين باسمها : هايا ، بيتانكور ، باز استانسيرو وغيرهم .

ولكن بخلقها فراغاً حيث كانت تسود هذه الترهات ، خلقت كوبا أيضاً **حاجة جديدة** : حاجة الى ماركسية أصيلة ، قادرة على ادراك التجارب الوطنية في اميركا اللاتينية . وليس استقلال كوبا ازاء النزاع الصيني – السوفياتي وحسب ، بل مجمل الممارسة اليومية لقادتها أيضاً ، في السييرا مايسترا وفي الحكم ، تشير الى أن أميركا اللاتينية آخذة بالتحول الى مركز جديد للفكر الثوري المتكيف مع ظروفها الخاصة . وقد بينت كوبا كذلك ، ولكن دون علمها ، أن هذه النظرية لا زالت بحاجة لان تبلور في أقطار عديدة من القارة . فمنذ وفاة خوسي

كارلوس مارياتيفي – مؤسس الحزب الشيوعي البيروني ومؤلف « سبع دراسات في تفسير الواقـع البيروني » وهو اهم اثـر ماركسي انتجته اميركا اللاتينية قبل الثورة الكوبية– يستورد معظم القادة والمنظرين الماركسيين استراتيجيات ومفاهيم جاهزة من اوروبا . فقبل فيديل كاسترو ، وقبـل الثورتين الفينزويلية والكولمبية ، لم تعرف الماركسية تفاعلها الصحيح مع الواقـع الاجتماعي لأميركا اللاتينية الشاذ فعـلاً اذا مـا قيس بمقاييس اوروبية .

ولعل الذين داخـل الثورة نفسها هم الاكثر تحسساً بالوزن الحقيقي للثورة الكوبيـة . فقد قضت على النماذج الثوريـة ، أكانت سوفييتية أم صينية أو حتى كوبية ، وعلى الراحـة العقيمة للمناهج والصيغ ، والعزلة عن الجماهير ، وتقديس التنظيم من أجل التنظيم . بهذا المعنى ، اثبتت كوبا عملياً ان الماركسية القديمة لم تعد صالحة ، وانه من الضروري استعادة المثال الثوري للماركسية – اللينينية واخضاع الماركسية مجدداً لواقع النضال الطبقي . هذه حاجة معترف بها في كل مكان ، لكنها غيرمشبعة في اي مكان . وهكذا فإن اميركا اللاتينية ، الباحثة حالياً عن طريقها الثورية ، قد تعلمت من النموذج الكوبي انها مضطرة الى

ابتكار هـــذه الطريق اعتماداً على تجربتها الخاصة . ان « بيان هافانا الثاني » لم تتفتق عنه اذهان القـــادة الكوبيين في احدى أمسيات الالهام ، ولم يذع اعتباطاً على جماهير أميركا اللاتينيـة باسم صوفية من الصوفيات : كان نتاجاً لالتقاء جميع الأماني الضامرة والتجارب التي عرفتها الجماهير المستغلة في القارة بأسرها والمقاومة التي قـــد تبدر لمناقشته على نحو فعال وتعميمه ليست متأتية من نزوع المنظمات الثورية نحو الاستقلال ، بل من بلادة بعض القيادات الذيلية . ولسوء الحظ ، فان ملاحظات فيديل القارسة التي تضمنها خطابه أمام « المؤتمر النسائي » عام ١٩٦٢ لم تفقد شيئاً من معناها : ويذكر ان فيديل قارن بـــين « توفر الظروف الموضوعية » في جميع دول اميركا اللاتينية تقريبـــاً وبين عدم توفر الظروف الذاتية التي تسمح للطلائع الثورية بأن تستغل الفرصة السانحة التي يقدمها الوضع التاريخي .

٢ — ان كوبا قـــد رفعت من المستوى المادي والعقائدي للردة الاستعمارية بأسرع مما رفعته عند الطلائع الثورية .

اذا كان الاستعمار ، **على المدى القصير** ، قد جنى مـــن الثورة الكوبية من الفوائد اكثر مما جنته القوى الثورية فليس

مرد ذلـــك ، طبعاً ، ذكاؤه المتفوق . ان الاستعمار في وضع أفضل يسمح له بأن يضع الدروس التي تعلمها من الثورة الكوبية موضع التنفيذ العملي الفوري ، **لأنه يسيطر على جميع الوسائل المادية للعنف المنظم** ، فضلاً عن شراسته العصبية الـتي تحفزها باستمرار غريزة الدفاع عن النفس عنده .

امـــا على الصعيد المادي ، فـــلا يسعنا إلا أن نشدد على التعزيزات المذهلة لأجهزة القمع ابتـداء بعام ١٩٦٠ . فالجانب الآخر من « التحالف من أجل التقدم » هو المساعدات العسكرية المقدمة للحكومات الاميركية اللاتينية التي اكتسبت غزارة وطبيعة جديدتين . فقبل شهر واحد من اعلان ديلون لمشاريعه المتفائلة في بونتا ديل ايستي الرامية الى تحويل اميركا اللاتينية الى « جنة من المراحيض الذهبية » – وهي مشاريع بين تشي غيفارا حتمية اخفاقها في حينه – تقدم كينيدي الى الكونغرس الاميركي في تموز من عام ١٩٦١ بـ « مشروع عسكري جديد يرمي الى ضمان الأمن الداخلي لأميركا اللاتينية ضد أعمـــال الشغب » . وتقول صحيفة « النيويورك تايمز » في عددها الصادر في الرابع من تموز : « يشكل المشروع تحولاً جـــذرياً بالنسبة للمشاريع العسكرية السابقة في نصف الكرة الغـــربي . كان

الهدف الرئيسي حتى الآن هو تزويد الحكومات الموالية ببعض الوحدات الجوية والبحرية من أجل الدفاع المشترك عن الغرب ضد هجوم خارجي . أما الآن ، فان الدفاع ضد أعمال الشغب يولى أهمية متزايدة » . خلال عام ١٩٦١ وحده ، أنفق ٢١ مليون دولار على « قوات مقاومة أعمال الشغب » . وآلاف من الضباط الشباب من شرطة أميركا اللاتينية يتخرجون سنوياً من كلية التدريب ضد العمل الانتفاضي في باناما،أما عددهم المضبوط فسر عسكري . ان الأفواج من القوات المضادة لحرب الثوار في كولومبيا ، ومن المظليين في الاكوادور ، والفدائيين البيرونيين ، والشرطيين الارجنتينيين (المجهزين بأسلحة ثقيلة) وغيرها من الوحدات العسكرية تنظم وتدرب من قبل البعثات العسكرية الأميركية . وكانت هذه في حالة بدائية قبل انتصار الثورة الكوبية . أما اليوم ، فيحق لكل واحدة منها أن تدعي أنها هزمت بؤرة ثورية في بلدها . لكن مساعدات الولايات المتحدة أقوى ما تكون في حقل الاعلام والتسلل . ففي البرازيل مثلاً ، لم يجرؤ أحد – باستثناء بريزولا الذي أمر باحراق ملفات الشرطة في ريو غراندي دي سول عندما كان حاكماً عليها – على إدانة سيطرة الـ F . B . I والـ C . I . A (« مكتب الأبحاث

الجنائيـــة الاتحادي » و « وكالة الاستخبارات المركزية » على التوالي) على الملفات السرية للشرطة السياسية البرازيلية ، حتى في أوج حكومة تمثل « البرجوازية الوطنية » . أما الارجنتين (وتعداد سكانها لا يتعدى العشرين مليوناً) فهي تتمتع بسبـع تشكيلات مختلفة ومتنافسة للشرطة السياسية . وفي فنزويلا ، تتنافس أجهزة السوتوبول والديجيبول PTJ و SIFA فيما بينها ، ناهيك عن العملاء المباشرين لوكالة الاستخبارات المركزيـــة الاميركية . قال أحـــد ضباط الاستخبارات العسكرية في الاكوادور : « كنا لا نزال سذجاً منذ عشرين عامـاً . نطلق الرصاص على الطـــلاب عندما يتظاهرون في الشوارع ، الامر الذي يؤدي إلى نتائج مفجعة . أمـــا اليوم ، فاننا نتقن مئات الطرق لخنق الثورات ، ولا نلجأ إلى اطلاق الرصاص الا بعــد استنفادها جميعاً» .

حقاً قـــال : فان ستاً أو سبعاً من البؤر الانتفاضية الـتي ظهرت في اميركا اللاتينية منذ عام ١٩٥٩ قد سحقت أو قضي عليها في المهد بفضل الوشايات او نتيجة تسلل عمـــلاء الشرطة السرية الى داخل المنظمات الثورية .

من هنا ، فالتأكيد النظري على ان « القضية الاجتماعيـــة

ليست من شأن الشرطة » تأكيد لا طائل تحته . فالذين يصنعون التاريخ يومياً بناء على شروط مسبقة لا يجوز أن يثقوا بتأكيدات كهذه التي ، ان كانت صحيحة بالنسبة للمؤرخ بعد مئة سنة ، فليست صحيحة بالنسبة لهم . ان النضال السري يتعاظم لأن العمل السياسي الثوري ، في ظل الانظمة السياسية القمعية ، غالباً ما لا يجد أمامه الا طريقاً واحدة هي طريق النضال المسلح أو السري .

بعبارة اخرى ، لا توجد حالياً خبرات عسكرية او سياسية تنفع طرفاً دون الآخر ، ورفع مستوى الحرب الثورية يتقدم بكلا الاتجاهين . نشرت وزارة الحرب في فينزويلا كتاب « حرب العصابات » لتشي غيفارا عام ١٩٦١ مع هوامش وتعليقات مطبوعة على صفحاته اليمنى . وها ان هذه الوثيقة قد وقعت بين ايدي الثوار الفينزويليين في الفالكون . فقد حملها اليهم احد ضباط الجيش النظامي الذي انضم اليهم حديثاً بعد ان امضى فترة تدريب في « كلية مكافحة النشاط الانتفاضي » في باناما . وعلق بدوره على الهوامش والتعليقات التي يتضمنها الكتاب بناء على ما تعلمه من فن مكافحة النشاط الانتفاضي . هذا مثال من عدة امثلة عن اللولب المزدوج للتدريب ومؤداه خطر زوال التفوق الطبيعي الذي تملكه الحرب الشعبية ضد الجيش النظامي – المباغتة .

أمـــا على الصعيد السياسي ، فان انتصار الثورة الكوبية يتجة نحو دفع مختلف تيارات البرجوازية الى التطرف والى تعبئة قواها وتوحيدها في جبهة موحدة ضد الثورة بوتيرة أسرع مـن الوتيرة التي يدفع فيها المنظمات الثورية ومـــدها نحو التطرف والاتحاد . فالدعاية الاستعمارية قد استغلت تحول كوبا السريع نحو بنـــاء دولة اشتراكية من اجـــل نشر الذعر في أوساط البرجوازيات الوطنية المزعومة والقطاعات المثقفة من الطبقات الوسطى. من هنا تزايـــد الصعوبة التي يواجهها بعض القـــادة السياسيين في التمسك بالاسطورة القديمة عـــن التحالف مـــع البرجوازية الوطنية من اجل توجيه « الضغط الشعبي » نحـــو « الجناح التقدمي » من الحكومات البرجوازية (لنتـذكر ان الاصلاحيين قد ايدوا كلاً من غولار في البرازيـل ، وبيلوندي تيري في بيرو ، والى حد ما اليا في الارجنتين) . والمفارقة التي تنطوي عليها الثورة الكوبيـــة (التي انطلقت اصلاً كثورة برجوازية ديمقراطية) هي انها وحدت وشحذت الوعي الطبقي المتذبذب لدى البرجوازيات الوطنية المجاورة (بصيغة ملتبسة هي خليط من الوحي والتدبـــير معاً) خاصة حيث هـــذه البرجوازيات موجـودة كطبقات كما في تشيلي والارجنتـــين

والاورغواي والبرازيل وكولومبيا . إلا أن هذه الدلالة تحتوي ، بشكل طبيعي ، على دلالة إيجابية مناقضة لها ، وهي بروز فئة من البرجوازيين الديمقراطيين والثوريين تمكنوا ، كأفراد ، من الالتحاق بدرجات متفاوتة بمعسكر الثورة : بريزولا في البرازيل ، وربما ميشلسين في كولمبيا ، وليشين في بوليفيا وغيرهم .

ان التثوير العكسي للقوى الحالية (دفع الطبقة المسيطرة إلى أقصى اليمين ، والطبقات المستغلة إلى أقصى اليسار) يفيد الاستعمار في المرحلة الراهنة بسبب التغيرات التي عرفتها التيارات التاريخية الثلاث منذ قيام الثورة الكوبية :

اولاً : ان القادة البرجوازيين للأحزاب الجماهيرية السابقة (كالتحالف الشعبي الثوري الاميري – آبرا – في بيرو ، وحزب العمل الديمقراطي في فينزويلا ، والحركة الوطنية الثورية في بوليفيا وغيرها) قد التحقت عدة وعتاداً بالمعسكر الاستعماري (حاملة معها اليه قطاعات واسعة من الفلاحين ومن العمال احياناً) .

ثانياً : ان القادة الشيوعيين لفترة « ما قبل الثورة

الكوبية » الذين عجزوا ، في أوج تطور الأحزاب البرجوازية الصغيرة الجماهيرية، عن منافستها على السيطرة على الحركة الشعبية لافتقارهم إلى الوسائل النظرية والعملية لذلك ، لا زالوا حتى الآن عاجزين عن ذلك لأسباب شتى .

ثالثاً : ان الحركات الكاستروية الفتية التي انبثقت بسرعة، وحاولت بشكل عفوي ، عقب الثورة الكوبية مباشرة ، ملء الفراغ الذي أحدثه غياب القيادات الثورية ، نادراً ما تمكنت من الوقوف على رجليها . فالعفوية ، واستصغار التهيئة والدراسة النظرية ، والمشكلات التنظيمية ، والثرثرة هي أسباب الفشل السريع الذي منيت به « آبرا ريبلوي » في بيرو ، و « الحركة الطلابية الفلاحية العمالية » في كولمبيا ، والعصب الفلاحية في البرازيل ، و « اشتراكية الطليعة » في الارجنتين . لكن العديد من هذه المنظمات الكاستروية ، بعد أن تعلمت من إخفاقها الأول وبسبب احتفاظها بالاندفاع الثوري ، تعمل الآن لبلوغ مستويات جديدة من العمل .

ان هذه التغيرات المضطربة لا زالت تترك فراغاً أساسياً في عدة مناطق ، مكاناً فارغاً ينتظر طليعته الثورية ، على الرغم من

ان هذه التغيرات عينها قد غيرت من دور الطليعة . على أن الادعى للدهشة في هـذا الفراغ هو أن أميركا اللاتينية منجم للكوادر الثوريـة الصلبة ، المصممة والمستعدة للتضحية والتي تعذر عليها حتى الآن التجمع في طليعة تنتظمها . ويرى العديد من المناضلين الشباب أن هذه الطليعة ليست متوافرة وانـه ينبغي بناؤها ، وهذا عمل مضن . « آه ، لو كان يوجـد رجل أو حزب نتبعه » . تـتردد هذه العبارة مراراً وتكراراً في أوساط الآلاف مـن المناضلين الشباب من باناما إلى باتاغونيا. ومن بـين كل مشاهد البؤس والاهمال التي تعـج بها اميركا اللاتينية ، لعله لا يوجد مشهد أسخف وأكثر ايلاماً مـن مشهد هؤلاء الرجـال المهملين ، سجناء خمسين سنة مـن التحليلات الهزيـلة والصيغ العمياء التـي كانت رائجة بـين أسلافهم المكرسين .

بين ليلة وضحاها ، غيرت كوبا العمل الثوري وأسلوبـه ومضمونه بحيوية شابة . ويأتي الضغط السكاني ليجسم مـن أهمية هذا التجديد . فنصف سكان فنزويـلا ، مثلاً ، هم دون العشرين مـن عمرهم . وهذه الشبيبة ، المنعتقة مـن عبء الذكريات ، لن تتبع الا الذين تراهم يقاتلون الى جانبها . ثمـة

طلاق عنيف بين الأجيال في أميركا اللاتينية بأسرها ، وخاصة على صعيد التصرف السياسي . ويبين هـــرم فئات الأعمار في بلدان جنوب اميركا شبه المستعمرة بوضوح كاف ان هذا الطلاق انما يعكس ظرفاً موضوعياً سيزداد بروزاً مع الايام .

افلاس الحركة الاشتراكية الديمقراطية

اما بالنسبة لما يسمى « جيــل العشرينات » ، فان هـــذه الطائفة من القادة الاشتراكيين الديمقراطيين الذين ترعرعوا في المنفى ، بمنأى عن التضحيات الثورية التي تبذلها شعوبهم ، قد صفت نفسها بنفسها – لحسن الحظ – دون ان تنتظر موتهـــا الطبيعي . فالثورة الكوبية ، التي خانها هؤلاء ، فضحتهم علناً. لقـــد صعد هايا دي لاثوري ، وفيغويريس ، وبيتــانكور ، وفروندیزي ، وباز استنسورو وغيرهم الى سدة الحكم بسبب الحرب العالمية الثانية ، ثم سيطروا على الحركة المناوئة للاستعمار في اميركا اللاتينية بأسرها ، ولجموها حتى عام ١٩٦٢ . وقـد طردتهم كوبا عن مسرح العمل الثوري حيث كانوا ، الى امد قريب ، يخـــدعون الجماهير . والمشاعر المكبوتة لهؤلاء القادة

البرجوازيين الصغار، الذين تسلموا الحكم بفضل لفظيتهم الثورية ليست بخافية على احد. خلال الخمسينات ، كان بمكنة بيتانكور مثلاً ان يعتبر نفسه قائداً للمقاومة الشعبية ضد الاستعمار، ولكنه ادرك ، بعد زيارة كاسترو الخاطفة لفنزويلا عام ١٩٥٩ ، ما هو الدور الذي يتعين عليه ان يلعبه . لذا ، فالاهانات المسعورة التي وجهها بيتانكور بعد ذلك بقليل ضد « الكاسترويه الشيوعية » (وهو تعبير سرعان ما عم القارة بأسرها) والخباله الذي ينم عن عقدة اضطهاد مستحكمة انما تعبر خير تعبير عن حالة هذا السياسي الوضيع المنبوذ المحكوم عليه بالعزلة التامة وبالتجول في سيارة مصفحة والذي جرد ، ذات يوم من عام ١٩٥٩ ، من منصبه ورتبته واوسمته امام ٥٠٠ الف متفرج في ساحة « ديل سيلنسيو » في كاراكاس.

ولدت الحركة الكاسترويه – نقطة الانفصال بين جيلين – وسط مرحلتين تاريخيتين : الثورة البرجوازية والثورة الاشتراكية. والخطيئة التي لم تغفر لها بعد هي انها ولجت هاتين المرحلتين ببساطة متناهية كما لو ان ذلك امر طبيعي للغاية .

ان الثورة الكوبية – بوصفها خاتمة حقبة تاريخية وفاتحة

اخرى – قد حددت ، الى الابد ، اللحظة التي تنقلب فيها عادة من العادات وتتحول الى نقيضها . ويكمن نصيبها التاريخي – الفوق محدد دون منازع [1] – في انها تمكنت من ان تحظى بدعم مادي ومعنوي من السياسيين الليبراليين التقليديين الذين سوف يكتسحهم عما قريب شبان بدون ماض ولكنهم يتميزون بالاندفاع والاخلاص امثال فيديل وراوول كاسترو ، كاميليو ثينغويفوس، ارنستو غيفارا، والمايدا. وهذا انصهار للتناقضات فريد من نوعه . ففي اشد فترات النضال السري شراسة ، استطاعت حركة ٢٦ تموز ان تجمع التبرعات في نيويورك باسم

١ – الفوق تحديد ترجمة (مؤقتة وغير وثيقة على الاطلاق) لكلمة Sur-determination التي يستعيرها لوي التوسير لوصف خصوصية الجدلية الماركسية (تمييزاً لها عن الجدلية الهيغلية) ويمكن تلخيص ما يعني بها على النحو التالي : لا يمكن فصل التناقض عن البنية المجتمعية بأسرها حيث يفعل فعله ، لا عن شروط وجودها كبنية ، ولا عن مراتب هذه البنية التي يحكمها التناقض ويخضع لتأثيرها في آن معاً . من هنا يمكن القول أن التناقض يحدد مختلف مستويات ومراتب البنية المجتمعية ويتحدد بها في حركة واحدة . فالتناقض إذن فوق محدد (راجع لوي التوسير ، دفاعاً عن ماركس ، منشورات ماسبيرو ، باريس ، ١٩٦٥) –

(المترجم)

« حقوق الانسان » وان تتلقى المعونة المالية من بيبي فيغويريس رئيس جمهورية كوستاريكا ، باسم الدفاع عن الديمقراطية ، ومن فينزويلا المتحررة لتوها من دكتاتورية بيريز خيمينيز ، وان تتسلم طائرة محملة بالاسلحة من لارا زابال ، زعيم الانقلاب الديمقراطي ، وان تؤمن لنفسها دعاية عالمية إيجابية عن طريق صحف عالمية مثل « لايف » و « باري ماتش » . وإذا كان كل ذلك لايجعلنا نهمل الجدارة الفائقة لحركة ٢٦ تموز ، فاننا نترجمها لأجل تحديدما قد تغير بالنسبة للحركات المماثلة لحركة ٢٦ تموز حالياً .

« هل تعتقد ان صحفيا مثل هيوبرت ماثيوز سيأتي لإجراء تحقيق صحفي معنا ، او ان امثال فيغويريس يرسلون لنا المسدسات ؟ » سألني بسخرية قائد جمهورية فلاحية مستقلة في كولومبيا على مسيرة بضع ساعات من بوغوتا . وكان الفلاحون آنذاك يتأهبون لصد هجوم يعده الجيش النظامي منذ سنوات بالتعاون مع البعثة العسكرية الاميركية وهم يفتقرون الى كل شيء . المراكز العالمية القادرة على مساعدتهم بعيدة جداً ، المال والسلاح ينقصهم ، والحملات المنظمة تشن عليهم من قبل الصحافة المحلية والعالمية لتشويه أهدافهم ومعنى نضالهم ، والعزلة والجوع — تلك هي ملامح الوجه المرير الآخر لنداء الشجاعة المفروض

حكماً على الثوريين المعاصرين : « اعتمدوا على قواكم الذاتية » .

بعد الثورة الكوبية ، ازدادت التضحيات بالارواح ، وطالت آماد الحرب الثورية ، وازدادت تعقيداً . كان من الايسر ، منذ خمس سنوات ، فتح جبهة تحرير عريضة مما هو الآن حيث يوصم كل عمل مناوىء للاستعمار بتهمة « الكاستروية - الشيوعية » فيضطر إلى اللجوء إلى النضال السري . كما ان بناء جيش شعبي قد ازداد صعوبة الآن حيث الجيوش النظامية تتدرب نفسياً وعسكرياً، منذ خمس سنوات ، على خوض حرب العصابات وتتسلل قوى الشرطة إلى المنظمات السرية مكثفة نشاطها التجسسي والقمعي . لقد آن الأوان لكي نغير لغتنا ومنظارنا ، في اوروبا وفي المناطق الأخرى ، عندما نحاول فهم المصاعب التي يواجهها رفاقنا في هذه البقعة من العالم .

فينزويلا : من المدينة الى الأدغال

ان التعليمات (أو انعدامها) في الصحافة الغربية «الموضوعية»

حول الثورة الفينزويلية تبين بوضوح كامل النقطة التالية : من يجهل النموذج الكوبي يعجز عن فهم التاريخ المعاصر . ما الذي أقدمت عليه « القوات المسلحة للتحرر الوطني» FALN عندما تبنت استراتيجية جديدة تعتمد على « الحرب الطويلة المدى » ؟ أخذت بعين الاعتبار الوضع الجديد الذي خلفته كوبا ، والذي يتجلى في فينزويلا بوضوح أكثر مما يتجلى به في أي بلد آخر . ان أكثر من نصف مجموع استثمارات الولايات المتحدة في اميركا اللاتينية موظفة في فينزويلا. وهكذا ، فليس هو البلد الذي بلغ فيه التغلغل الاميركي أقصى مداه وحسب ، بل هو أيضاً البلد الذي يفرض عليه الاستعمار حراسة مشددة. ومما لا شك فيه ان الثورة الفينزويلية قد استعادت أنفاسها واسترجعت توازنها ـ بعد إخفاق شكل الانتفاضة المدينية الذي اعتمدته بسبب عدم ملاءمته لأوضاعها ـ واضطلعت بدلاً منه بالمهمة الطويلة المدى التاليـــة : الانتقال من جيش غوار إلى جيش شعبي نظامي في الريف . فتركت بالتالي للمدينة كل أهميتها السياسية ، سعياً منها لصون امكانات العمل الجماهيري العلني وعقد التحالفات الجريئة .

في غضون ذلك اندمج النضال الجماهيري المسلح في الريف ، أكثر من اندماجه به في كاراكاس . ويذكر هذا التحول بالثورة

الصينية التي ظن العديدون ، مراراً ، انها أوشكت على الاخفاق بعد الانتكاسات الدموية التي منيت بها في كانتون وشانغهاي عام ١٩٢٧ . ولكن ذلــك الظرف وحده هو الذي سمح للقادة الشيوعيين بــأن يتجاوزوا النموذج البلشفي للثورة ، وان يكتشفوا شكلها الصيني الأصيل ، هذا الشكل الذي دافع عنه بنجاح ماوتسي – تونــغ ضد لي لي – سان . والانسحاب الى الريف مع « المسيرة الطويلة » وانشاء القواعد الفلاحية الثورية هو الذي أدى الى النصر ، مع العلم بأنه تولد عن هزيمة . واذا كان بالامكان أن نحصي أكلاف التضحيات المبذولة ، فلا يجوز أن نسجل الدم المهراق في شانغهاي أو كاراكاس في قيد خسائر الثورة ، كما لو أنه نتيجة خطأ في الحكم . ففي كلا المناسبتين ، نجد أن البرهان النظري على صحة القول أن الانتفاضة المدينية المعزولة لا تستطيع إحراز النصر في بــلد شبه – مستعمر ذي غالبية سكانية فلاحية ، كان يجب أن يتم على صعيد الممارسة نفسها . فلو أن براهين النظرية ذات طبيعة نظرية وحسب ، لكان يكفي وجود بعض المنظرين الاكفــاء لتحقيق ثورات « جيدة » بالاعتماد على الاستدلال وحده ، وهذا يغنينا عــن تشعبات لا طائــل تحتها . من هنا ، فان استراتيجية الحرب

الطويلة المـــدى ، المنطلقة من الريف لتطويق المدن ، كانت مقبولة ضمناً لدى قادة الجبهات الانتفاضية منذ عام ١٩٦٢ ، ولكن لم يصادق عليها القادة المدينيون الابعد سنتين اثنتين عرف العمل الثوري خلالها انفصالا بين خطط قادة المدينة وخطط قادة الريف .

ان كل من زار الجبهات الريفية قبل انتخابات عام ١٩٦٤ بامكانه أن يشهد على استراتيجية دوغلاس برافو في الفالكون واوربينا وغابالدون في لارا : النضال المسلح المعمق المتخـــذ أشكالاً سياسية أكثر منها عسكرية . فالعمل الدؤوب لتكوين خلايا مساندة بين فلاحي كل دسكرة وقرية ، وعمل الدعاية والاتصالات اليومي ، وفلاحة الأراضي المستصلحة في الدغل ، والحملة المنظمة لمحو الأمية بين المقاتلين والفـــلاحين ، وتدعيم التنظيم للاحتفاظ بصلة مع القرى والمدن ، وشبكات التموين والاعلام — تتوج كل هذا العمل التنظيمي السياسي بانشاء قاعدة ثورية ثابتة بمدرستها ومحا لمها واذاعتها (التي انشأت حديثاً في منطقة الفالكون) . وهذه مهمات تمركز خفية لا ترى الصحافة منها الا جوانبها العسكرية ، وهي أقلها أهمية . ففي حين كان النضال المديني المسلح يستنزف قواه في حرب افناء يعمل الزمن

ضدها ، بسبب توازن القوى في المدن ، كان النضال الريفي المسلح يعمل بهدوء مستغلاً فترة الوقت ذاتها لإرساء البنيـــة التحتيـــة السياسية لعملياته العسكريـــة المقبلة . وفي غمرة الانتصارات الشعبية الأخيرة ، ساد الاستخفاف السياسي بحكومة بيتانكور وبالاستعمار الاميركي أوساط مناضلي المدن الذين لم يتسن لهم ، لأسباب بدهيـــة ، فرصة اختبار شروط النضال الجديدة لفترة ما بعد الثورة الكوبية . من هنا استصغارهم بجهاز القمع الحكومي ولقوة الاستعمار الأميركي ، وهذا مـــا يفسر السرعة التي تم فيها سحق تنظيمات الثورة ، العلنية منها والسرية في كاراكاس وفي عواصم الولايات . هكذا كان الفينزويليون ، سكان البلد الأكثر خضوعاً لتسلط الاستعمار الاميركي بسبب نفطه وحديده ، أول من اختبر معـنى « الحرب الشعبية » في ظروف ما بعد الثورة الكوبية . وقد دفعوا الثمن غاليـاً على دورهم الرائد هـذا . أما الآن وقد أضحى إخفاق التجربـــة الاصلاحية ، كما تجلى في بيرو والبرازيل وتشيلي ، أمراً لاينكره أحد (علماً بأنه لا يكون دائماً موضع تقـويم نقدي) ، ينبغي أن يعود ثوريو البلدان الشقيقة إلى ذلك المستودع الضخم مـن التجارب الذي تشتمل عليه فينزويلا ، وهي تجـــارب مفيدة

للجميع حتى في أخطائها .

تشيلي : مصير الطريق الانتخابي

قيل الكثير عن تشيلي في الآونة الأخيرة . والواقع أن هذا البلد يتصدر حالياً التيار الاصلاحي ، كما تبين من الانتصارات الانتخابية التي أحرزها الديمقراطيون المسيحيون مؤخراً . ولا غرو ، فالمواقف السياسية المتقدمة التي يطرحها هذا الحزب تثبت ، فعلاً ، ارتفاع مستوى الحركة الجماهيرية هناك خلال السنوات الأخيرة . والسياسات التي تنتهجها حركة الطبقة العاملة هناك (بعد أن استعادت حرياتها عام ١٩٥٨ على عهد ابانيز) قد تفسر إلى حد ما ليس انتصار الرجعية بل قدرتها على مباغتة وارباك جميع اصلاحيي القارة .

ليس من الضروري أن يكون المرء قد قرأ كلاوزفيتزلكي يدرك أن أساس أية خطة تكتيكية ، أكانت ثورية ام لا ، هو ان يحارب المرء على ارضه ، او (حيثما يوجد نظام رأسمالي) ان لا يسمح للمعركة بأن تتحول الى معركة حاسمة ما دامت تخاض

على ارض العدو – وارض العدو هنا هي الديمقراطية التمثيلية ومحتواها الطبقي اشد بروزاً في اميركا اللاتينية مما هو في اوروبا نفسها .

على الرغم من أن تشيلي تتسم بخاصة مميزة (التقاليد البرلمانية غياب دور الجيش ، هامشية الاقطاع الزراعي، إلى آخره ...) فإن الأهمية الحاسمة للكنيسة الكاثوليكية (تبين من فرز الأصوات على أساس جنس المقترعين أن الأصوات الاربعمئة الف التي تفوق بها فراي على خصمه الاندي هي اصوات نساء) ، والسيطرة الكاملة على الصحف الواسعة الانتشار وعلى جميع وسائل الاعلام من قبل الطبقة المهيمنة ، وحرية التصرف التي تتمتع بها « المؤسسة الخيرية » كاريتاس في شراء الأصوات في « الكالامباس » (الاحياء العمالية في سانتياغو) عن طريق التوزيع المجاني للمواد الغذائية التي تقدمها منظمة « التحالف من أجل التقدم » ، والحملة المؤثرة التي تشنها الولايات المتحدة ضد كوبا – كل هذه العوامل ضمنت تفوق البرجوازية انتخابياً منذ البدء . وعلى الرغم من أن بعض قطاعات الطبقة العاملة في تشيلي قد أعربت، قبل ٤ أيلول ١٩٦٤ ، عن شكها في امكان احراز نصر شعبي في هذا الحقل ، فإن « جبهة العمل الشعبي » بذلت

قصارى جهدها لإقناعها بالعكس .

١ – في مطلع الحملة الانتخابية ، علقت «جبهة العمل الشعبي» جميع المطالب العمالية حتى لا تثير الذعر في أوساط الطبقات الوسطى ، على الرغم من التضخم وتفاقم البطالة . وراحت الأحزاب الديمقراطية ، وقد تحولت كمياً إلى أجهزة انتخابية وحسب ، تطمئن أعضاءها بانتصار سلفادور الانـدي المحتوم ، فحرفت بذلك اهتمام الجماهير عن مسألة الاستيلاء على السلطة لتوجهه نحو طبيعة الاغلبية الانتخابية الـتي ينبغي احرازها – أهي أغلبية نسبية أم مطلقة . فكان الافتراض السائد عملياً ان الأغلبية الانتخابية هي الاستيلاء على السلطة . وقبل ثلاثة أشهر من موعد الانتخابات ، اضطرت « جبهة العمل الشعبي » – خوفاً من التعبئة العسكرية في الارجنتين وبوليفيا وبيرو ، وتحسباً للشائعات السارية حول قيام انقلاب عسكري في حال انتصارها في الانتخابات (وهي شائعات عززها الانقلاب العسكري البرازيلي) الى اتخاذ اجراءات رسمية سريعة ، من وراء ظهر الجماهير ، لحماية قادتها وتمهيد الطريق للعودة الى العمل السري اذا اقتضى الأمر ذلك . وكلها اجراءات لم تتسم بشيء في رفع مستوى الوعي والتعبئة عند الجماهير .

٢ ـ خاضت الجبهة المذكورة انتخابات رئاسة الجمهورية على أساس تحالفها مع أحزاب « الوسط » أو حتى الأحزاب الرجعية المفضوحة ، وعلى أساس اعطاء بعض التنازلات للمنشقين عن الحزب الليبرالي والحزب المحافظ ـ أي انها حولتها ، باختصار ، الى مناورات سياسية يقوم بها وجهاء محليون . وقد ذهبت بهذا الاتجاه الى ابعد مداه ، فخصصت مجلة « فيتازو » ، لسان حال الشبيبة الشيوعية ، صفحاتها الأولى للمأدبة التي اقامها على شرف الاندي « المحفل الاكبر للماسونيين التشيليين » الذي يضم ابرز شخصيات البرجوازية التجارية التشيلية . واخيراً ، لم يكن من فارق يذكر بين برنامج فراي المسيحي الديمقراطي وبرنامج الاندي سوى مطالبة الأخير بالتأميم التدريجي لمناجم النحاس في حين اكتفى الاول بالدعوة الى جعلها « ملكية تشيلية » . على ان فراي كان قادراً على استخدام وسائل اكثر مباشرة للوصول الى الجماهير .

٣ ـ ما دامت جميع نضالات الطبقة العاملة قد تأجلت « الى وقت لاحق » ، تقاعست الجبهة حتى عن مواجهة اعمال الخصم العدوانية حتى لا تنفر الناخبين . فكانت تشيلي البلد الوحيد بين بلدان اميركا اللاتينية الذي لم تخرج فيه تظاهرات جماهيرية

احتجاجاً على قطع العلاقات الدبلوماسية مـــع كوبا . فعندما حدث ذلك ، قبل فترة وجيزة من موعد الانتخابات ، اكتفت « جبهة العمل الشعبي » باصدار بيان يعلن فيه الاندي ، مرشحها لرئاسة الجمهورية ، انه مستعد لرفع القضية الى المحكمة الدولية في لاهاي اذا ما اقتضى الأمر ذلك . وبدلاً من ان تشدد الجبهة على تضامنها مع كوبا ، امعنت في تنصلها من الثورة الكوبية ومن سائر الحركات الانتفاضية التي كانت موجودة آنذاك.ولم ترد على سيل الشتائم التي كانت الرجعية تكيله لـ «دكتاتورية فيديـــل كاسترو الدموية » . فظنت فئات شعبية عديدة انه لا توجـــد اجوبة على هذه الاتهامات ، وان كوبا ليست جديرة بأن يدافع عنها .

٤ – ان استخدام سلاح برجوازي (كالانتخابات في نظام ديمقراطي برجوازي تمثيلي) شيء، اما استخدام هذه الانتخابات بطريقة برجوازية ، فشيء آخر . كما وان الدفاع عن نزاهـــة انتخابات معينة وعن احترام الدستور في وضع معين شيء ، اما الدفاع بحرارة عن الشرعية البرجوازية والتمسك بحرفية الدستور كأنها مطلق ، معزول عن اي موقع طبقي ، فشيء آخر. خلال الحملة الانتخابية في تشيلي ، راح « اليسار » يزايد على « اليمين »

باصدار البيانات السلامية التي يعلن فيها ادانته للعنف بشكل عام . هكذا نجد في برنامج الحزب الشيوعي التشيلي ، الذي اقر في مؤتمره الثاني عشر في آذار ١٩٦٢ ، ما يلي :

«ان موضوعة الطريق السلمي ليست شكلاً تكتيكياً ، بل هي فرضية نابعة من برنامج الحركة الشيوعية نفسه ... (ان الطريق السلمي) يتلاءم كلياً مع مستلزمات السير نحوالاشتراكية ومع الطابع الانساني للنظرية الماركسية – اللينينية . ان العلاقة الحالية بين القوى الوطنية والعالمية قد ضاعف من امكاناتالقيام بالثورة عن غير طريق النضال المسلح » .

اذا طرحنا جانباً التفاؤل اللاعقلاني الذي تطفح به هذه الموضوعة في اميركا اللاتينية بعد مضي خمس سنوات فقط على قيام الثورة الكوبية ، فلا زلنا نفاجأ عندما نرى « الانسانية النظرية » للماركسية تستخدم لتبرير التخلي عن الدقة السياسية والنظرية .

بدهي انه من غير العدل ان نفسر الانتصار الرجعي في انتخابات الرئاسة التشيلية ، وفي الانتخابات النيابية الأخيرة

(آذار ١٩٦٥) على انه ناتج فقط عن اخطاء في الممارسة الثورية. ينبغي تفسير هذا الانتصار من خلال الوضع العام لأميركا الجنوبية بعد الثورة الكوبية . أما تفسير الاخطاء الثورية فقد تعرضنا له في مكان آخر . إذا أخذنا بعين الاعتبار التفوق الاستعماري الراهن وجهل القوى الشعبية للميدان الانتخابي حتى في بلد مثل تشيلي ، نرى أن بيت القصيد هو أن نتيجة الانتخابات التي أفضت إلى نصر انتخابي لم تحرزه « حركة ديمقراطية » أخرى في اميركا اللاتينية قد تحول الى هزيمة ثورية . لقد نجحت « جبهة العمل الشعبي » في كسب أصوات نصف الناخبين الذكور ، الاقل تعرضاً من النساء للضغوطات المحافظة والاكليركية ، فأجبرت الرجعية الى الذهاب الى أقصى حدود الديماغوجية الاشتراكية الزائفة لكي تحافظ على حكمها . ولو ان العناصر الاصلاحية لم تبث الأوهام بين الجماهير ، ولو انها لم تكن تريد تحويل الانتخابات التشيلية في نظر مناضلي اميركا اللاتينية الى « امتحان » حاسم ، لكانت اليوم، دون أدنى ريب ، في وضع يسمح لها باتخاذ مواقع هجومية قائمة على اسس جديدة .

للتجربة التشيلية عبرتان :

اولاً : يستحيل على بلد اميركي لاتيني « متطور» في جنوب القارة (تشيلي ، ارجنتين ، اورغواي) او في اميركا الوسطى (كوستاريكا) ان يفلت من حكم بنية القارة بأسرها المسجونة كلياً في خيوط الشبكة الاستعمارية . ان حركة الطبقة العاملة التشيلية ، التي يسيطر عليها مركب تفوق حقيقي جعلها تجسم خصوصيات نظامها الديمقراطي « المتطور » ، حاولت أن تضع بين مزدوجين حركات التحرر الوطني في اميركا اللاتينية فضلاً عن الوضع الموصوف سابقاً الذي خلقته الثورة الكوبية في القارة بأسرها .

ثانياً : للانتهازية في اميركا اللاتينية قاسم مشترك مع نزعة المغامرة الصبيانية اليسارية : كلاهما يستخف بالاستعمار الاميركي الشمالي على الرغم من تعاقب الانقلابات العسكرية في السنوات الأخيرة .

كان العديد من المناضلين في كوبا وفي البلدان الأخرى

يدركون انه نظراً لضعف الاستعداد عند المنظمات الديمقراطية التشيلية ، فان انتصار الانـــدي الانتخابي لن يؤدي الى تغيير أساسي في بنية جهاز الدولة ، وان العمل الشعبي لن يقضي بذلك على الطبقة الحاكمة التشيلية ولا على القوى الامبريالية .

استراتيجية التيار الاصلاحي :

ان هذا الاستخفاف الفادح بقوى الاستعمار قـــد ظهر على شكل اوضح عند التيار الاصلاحي في قطاع من الحركة الثورية البرازيلية . فاذا كان ثمة من برهان تاريخي عـــن عبث الجهود الاصلاحية ، فالبرازيل هي هذا البرهان . ونظراً لان حـدود هذا المقال لا تسمح بتحليل يتطلب دراسة مخصصة له ، نكتفي بالقول ان الحزب الشيوعي البرازيلي – كما يتبـين من الانتقادات الذاتية التي أصدرها مؤخراً – تخلى عـــن استقلاله الطبقي لقاء التحالف مع البرجوازية الوطنية المتمثلة بشخص غولار . وقـد ولد هذا الخط الانتهازي نقيضه الآلي عند قطاع واسع من القوى الثورية البرازيلية ، عنينا نزعة برجوازية صغيرة تدعي الجذرية وتأنف العمل الدؤوب بـين الجماهير ، تمثلت في بعض القطاعات

بفرانسيسكو خولياو وبالبعض الآخر بـــبريزولا . واذا كان الانقلاب العسكري الفاشستي لم يواجه بأية مقاومة ، فمن أسباب ذلك انه فاجأ الحزب الشيوعي وقد كان في أوج حلمـــه بالعمل العلني الشرعي . فاذا بالقطاعات الوحيـــدة القادرة على النضال تفضل تأجيله ، رافضة الدفاع آنذاك عن نظام فاسد وعاجز ، غير انه لم تكن قد تمكنت بعدمن توحيد الجماهير على أساس برنامج ثوري لم يكن قد وجد بعد .

لنطرح السؤال التالي : لماذا تمسكت القيادات السياسية في مختلف البلدان بالاوهام الداعية الى طريق سلمي نحو الاشتراكية بعد مدة من انتصار الثورة الكوبية وعلى الرغم من كل العبر التي حملتها ؟ لعل سر هذا اللغز – وليس بالسر فعـــلاً – يكمن في المفهوم العــــام لثورة اميركا اللاتينية عند التيارات الاصلاحية الراهنة . ولنستشهد هنا بالحجج التي تكرم أحد ممثلي هـــذه التيارات « البالغ الكفاءة » ووضعها بين ايدينا ، وهو ينتمي الى إحدى أمم جبال الآنـــد حيث كانت انتفاضة شعبية في طور الاندلاع عندما كتب هذه الكلمات :

« ان الهدف من عملنا في اميركا اللاتينية هو تـــدعيم دول

الديمقراطية الوطنيـــة من أمثال بوليفيا والمكسيك والبرازيل (كان ذلك في عهد غولار) بحيث تلعب في المستقبل دور نقاط استقطاب للدول المجاورة الأقل تقدماً . ولا تستطيع هذه الدول الوطنية أن تعزز مواقعها فعلاً الا على حساب الاستعمار الاميركي الذي ينزع نحو القضاء على الأنظمة الاقتصادية القادرة على المزاحمة وعلى الانعتاق من احتكاره التجاري . ان الاستعمار الاميركي الشمالي هو العـــدو الطبيعي للبرجوازيات الوطنية . وهكذا ، فان الفرصة الوحيدة المفتوحة امام هذه البرجوازيات الوطنية لكي تنمي اقتصادياتها بمعزل عـــن الرقابة الاجنبية وتشرع في مراكمة رأس المال ، هو في طلبها المساعدة الاقتصادية المنزهة من المعسكر الاشتراكي التي تمنح بدون اي شروط سياسية . لهذا يكون الواجب الأول على المعسكر الاشتراكي هو ان يواصل بناء قوة اقتصاديـة بلا توقف . ولهذا سببان : اولا ، لأن ذلك يمكنه من ان يمد بلدان اميركا اللاتينية بالقروض الطويلة المدى وبالفنيين – اي انه يمكنه من اضعاف النفوذ الاميركي الشمالي وتقليص رقعته . ثانياً، ان تقدم البلدان الاشتراكية مادياً وثقافياً سوف يضاعف من جاذبية الاشتراكية ويزيد من انجذاب دول الديمقراطيات الوطنية نحوها .

«لذا ، ينبغي علينا حالياً ان ننتظر حتى تنضج البرجوازيات الوطنية ، ما دام بدهياً انها لن تظهر بين ليلة وضحاها . ونمو البرجوازية الوطنية هو نمو تناقضين اثنين في آن واحد: التناقض الاول مع الاستعمار الذي يكف عن ممارسة استغلاله السابق ، والثاني مع البروليتاريا الوليدة التي تبدأ هذه البرجوازية باستغلالها. ان البرجوازية القوية تولد بروليتاريا قوية . لذا ينبغي الاعتماد أساساً على هذا التناقض المزدوج. فطالما البرجوازيات الوطنية لا تزال ضعيفة ، فالثورة غير ممكنة . غير ان ضعف الطبقة العاملة واحزابها لا يجوز ان يجرنا الى السقوط في سياسة انعزالية متزمتة قد تسقط فيها بعض القيادات بسبب افتقارها الى النجـــدة . ينبغي أن نكون على استعداد لعقد أوسع التحالفات ، دون ان نخشى ان تنتزع الطبقات الوسطى قيادتها . ان العديد مـــن البرجوازيـــين الصغار والمتوسطين يتمتعون بمواقف سياسية رائعة . وهم الآن الواقعيون الوحيدون . ان الظروف الدولية تلعب حالياً دوراً متزايد الأهمية في احراز الانتصارات الثورية. فمن الافضل ان لا نكون على عجلة من امرنا ، ما دام كل عام يمر يغير هذه الظروف الدولية لصالح الاشتراكية : فالاقتصاد الكوبي ينمو ، واقتصاد المعسكر الاشتراكي ينمو ، وتولـــد

بلدان اشتراكية جديدة في أمكنة أخرى من العالم ، وما الى ذلك .

« ان محاولة القيام بالثورة ، في وضع كهذا ، اعتماداً على النضال المسلح ضد ممثلي البرجوازية الوطنية الآخذة في التكوّن كطبقة حاكمة ، لن يؤدي الا الى تأخير انبثاق الظروف الموضوعية التي تسمح بالتقدم ، أو حتى القضاء عليها . فتندفع أكثر العناصر في الحكومة وبين البرجوازية ، حكماً ، الى أحضان الاميركيين الشماليين . وتفسح هزيمة الانتفاضة المجال أمام اشد العناصر الرجعية لكي تبرز مرة اخرى ، وربما تؤدي الى الغاء الاصلاح الزراعي البدائي والغاء تأميم المناجم . فتطالب الولايات المتحدة باغلاق سفارة الاتحاد السوفياتي التي تمكنا من الاحتفاظ بها بصعوبة بالغة ، رغم جميع الاستفزازات ، كما تطالب بترحيل البعثات الاقتصادية للدول الاشتراكية . ان افدح الأخطار التي تهدد اميركا اللاتينية اليوم هي نفاذ الصبر واليعقوبية . فكلاهما يقود الى تقهقر الظروف الموضوعية والتضحية بالمستقبل المضمون لقاء الأوهام » .

ان انصار الستراتيجية الاصلاحية يتلاشون سنة بعد سنة في

اميركا اللاتينية لسبب بسيط هو ان تحليلهم لايصمد أمام امتحان الواقع . فالستراتيجية الاصلاحية تفترض مسبقاً أن دول « الديمقراطيات الوطنية بقيادة البرجوازية » قادرة على تنمية اميركا اللاتينية ، وانها لن تتحالف مع الولايات المتحدة لا بل هي قادرة أن تتحرر باطراد من الاستعمار . غير أن تاريخ العشرين سنة الماضية قد بين ان هذه البرجوازيات جميعها تواجه معضلة مميتة ليس لها حل .

١ – الفاشستية الديمقراطية البرجوازية

قام حزب « البرجوازية الوطنية » بمصادرة الثورة الشعبية واستولى على الحكم ، كما فعل « الحزب الدستوري الثوري » في المكسيك ، و « حزب العمل الديمقراطي » في فينزويلا ، و « الحركة الوطنية الثورية » في بوليفيا . لكن هذه البرجوازية الصغيرة التقدمية لا تملك قاعدة سلطة اقتصادية قبل تسلمها الحكم . لذا تحوّل الدولة ليس إلى أداة سيطرة سياسية وحسب ، بل إلى مصدر للسلطة الاقتصادية أيضاً . فتمسي الدولة ، الى حد ما ، اداة لتكوين علاقات استغلال اجتماعية ، في حين هي

في اوروبا الرأسمالية تتويج هذه العلاقات. وبواسطة عملية اختصار للطريق مميزة للبلدان شبه المستعمرة ، تتحول الدولة من كونها التعبير القانوني عن علاقات الانتاج القائمة في مجتمع ما، لتصبح، إلى حد ما ايضاً، اداة تكوين علاقات انتاج لم تكن موجودة اصلاً في هذا المجتمع . إذاك يضحي تكاثر الوظائف الحكومية – المورد الوحيد لتوظيف آلاف الأتباع العاطلين عن العمل – البديل عن تنمية الجهاز الانتاجي . فهذه البرجوازية لا تساوي شيئاً على الصعيد الاقتصادي اذا لم تكن مسيطرة على جهاز الدولة ، لذا فالسلطة السياسية هي كل شيء بالنسبة لها ، وهي لن تتوانى عن الإقدام على اي عمل من اجل الاحتفاظ بها . من هنا ، فالشكل المميز الذي يتخذه وعيها الطبقي هو اليقظة السياسية . فتمسي بطاقة العضوية الحزبية الشرط المسبق للحصول على وظيفة حكومية . ففي فينزويلا مثلاً ، ينبغي على اصغر سكرتير في وزارة من الوزارات ان يدفع رسوم الانتساب الى حزب العمل الديمقراطي قبل ان يتعلم الطبع على الآلة الكاتبة . وتقتطع الرسوم الحزبية من اجور موظفي الدولة مباشرة ، تماماً مثلما تقتطع الاشتراكات النقابية للاتحادات النقابية الرسمية من اجور العمال. هكذا تولد زمرة مغرورة وقحة من البروقراطيين الكبار

والمتوسطين ، وامناء السر الخاصين ، والمحامين المحتالين، ورجال الأعمال ، وعملاء الشرطة ، والضباط الضالعين في عمليات اعادة بيع الأسلحة ، والدبلوماسيين المدمنين على المخدرات ، والقادة النقابيين الذين يعيشون على حساب وزارة العمل . جميع هؤلاء طفيليات تعيش على حساب جهاز دولة هو بدوره طفيلية تعيش على حساب المجتمع .

وترى هذه الكائنات انها في صراع حياة او موت ضد كل من تسوّل له نفسه مجرد الاقتراب من غنائمهم ، فيسحقون مثل هذه المحاولات ويقضون عليها في المهد . تحت تهديـــد المطالب الشعبية ، تخون هـذه البرجوازية المكونة من الأثرياء الجـدد العقيدة الوطنية فوراً ، هذه العقيدة التي كانت تميز قيادتها للجماهير (والجماهير الفلاحين خاصة المعبأة باستمرار بوعد اقامة اصلاح زراعي «اصيل») ، فتغير ولاءها وتكرس نفسها للتعاون السافر مع الاستعمار ، فتتعهد بادارة مصالحه المحلية . هكذا تتم الصفقة بينها وبين الاستعمار . امتيازات تنقيب عن النفط والمعادن وامتيازات تجارية لقاء بعض العائدات والمساعدات الاقتصادية التي توظف فوراً في شق طرقات خاصة وبناء احواض السباحة من هذا المنظار ، يتشابه النظامان الفينزويلي والبوليفي (سيان

اكان بازاستنسورو على رأس هذا الأخيراو لم يكن) بدرجة مذهلة . عين الاصلاحات الزراعية والصفقات العقارية المخجلة في فينزويلا يقابلها توزيع الاراضي غير المزروعة في شرق بوليفيا الى ملكيات فردية ، عين الديماغوجية « الشعبية » التي تضمن سمعة حسنة للنظام في الخارج من انتخابات دورية مزوّرة الى الاحتفاظ بدمية تسمى برلماناً الى المسرحيات المعدة لإثبات ولاء العمال للنظام – كل هذه الألاعيب بقصد الإبقاء على الظاهرة الديمقراطية. واذتحيط هذه البرجوازية نفسها بـ «الشعب المسلح» اي بمرتزقة ينتمون الىالعمال الباطلين والفئات الرثة (في فينزويلا: نصف دزينة من اجهزة الشرطة السرية والعلنية ، وفي بوليفيا ، تتكون « ميليشيا » « الحركة الوطنية الثورية » من الهنود الأميين و « عمال السكك» – وهي النقابة العمالية الوحيدة التي اثمر فيها الارهاب الحكومي) ، تضطر هذه البرجوازية عينها الى الدفاع عن سلطتها السياسية ضد الذين حملوها الى السلطة اصلاً : اي ضد العمال والطلاب الذين ناضلوا ، بقيادة الوطنيين والشيوعيين الشباب ، طوال عشر سنوات ضد بيريز خيمينيز وطوال عشرين سنة ضد غوميز ، والذين عانوا من « درب الصليب »الطويل من المجازر في المناجم والانتفاضات التي سحقتها

« الروسكا » – اوليفاركية التصدير . في نهاية هـذه العملية ، تتمخض أنظمة « الديمقراطية الوطنية » عن مسخ يمكن تسميته الفاشستية الديمقراطية البرجوازية – وهو الشواذ الوحيد عـن القاعدة القائلة أنه لا وجود للمسوخ في التاريخ . انه نقطة تحوّل أساسية للتناقضات يدخلها نظام برجوازي بدون طبقة برجوازية ونظام ليبرالي بدون ليبراليين ، ولا أمل له بالخروج منها .

ذلك هو الشطر الأول من المعضلة : الخيانة الصريحة للثورة البرجوازية الديمقراطية من قبل الثورة البرجوازية الديمقراطيـة نفسها .

٢ – الانقلاب العسكري

عندما يرفض أحد السياسيين البرجوازيين ، أو جناح من « البرجوازية الوطنية » ان يخون رسالته الوطنية ويبيـع نفسه للولايات المتحدة ، يحاول تحقيق اصلاحات برجوازية ديمقراطية : اصلاح زراعي اصيل معادٍ للاقطاع ، منح الأميين حق الاقتراع ، اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع جميـع الدول ، مراقبـة أرباح الشركات الاميركية الشمالية الكبرى ، ومـا شابه . ويضطر « رئيس الجمهورية » – لمقاومة الضغوط المشتركة التي يمارسها السفير الاميركي (يطلق عليه أهل الاكوادور لقب « نائب الملك ») ، والحملات الصحفية ، والعراقيل القانونية التي

تضعها في طريق أغلبية برلمانية هي ثمرة التزوير الانتخابي وانغلاق الطبقة الحاكمة على نفسها — الى الالتجاء إلى الجماهير الشعبية ودعوة أحزاب ونقابات الطبقة العاملة إلى تأييده ، وحتى السعي لكسب تأييد العصب الفلاحية إذا اقتضى الأمر (كما في البرازيل) . ابتداء من ذلك الحين ، يهدّد النظام باستمرار خطر قيام انقلاب عسكري .

محشوراً بين العمال والفلاحين الذين أثار حماسهم ، والذين يضغطون عليه من الخلف ، وبين جيش عبأته الاوليغاركية المثلومة الكرامة وغمزات وزارة الخارجية الاميركية يصده من الامام ، يتعثر « الرئيس » ، يسعى إلى مخرج من هذا المأزق ، يحاول المهادنة ، المساومات — ولكن بعد فوات الأوان . لقد ادركت الطبقة الحاكمة بأسرها ، نظراً لمسيرة الأحداث المتسارعة ، ان الآلية الجديدة التي بدأت بالتحرك سوف تؤدي إلى سقوطها . إن انتصار سياسة استقلال وطني تتطلب إجراءات اشتراكية : هذه حقيقة تثير الذعر حالما يكشف النقاب عنها . فتتخلى البرجوازية فوراً عن هاوي الشعوذة المنبثق من صفوفها . فلا تكترث إذا سحقت القدم العسكرية الشرعية الدستورية التي كانت هذه البرجوازية نفسها حاملة لوائها منذ أمد ليس ببعيد

ضد « أعمال الشغب » . فيستغل الجيش أدنى بادرة (وكانت هذه في البرازيل العفو الذي أصدره غولار عن البحارة الذين تمردوا على ضباطهم) ليحتل مراكز المحافظات، فترفض حاميات الألوية الاجابة على المكالمات الهاتفية القادمة من الرئاسة ، وتتحرك الدبابات باتجاه القصر الجمهوري ، وتخلى الشوارع من الناس : حدث الانقلاب العسكري . فيبقى « الرئيس » وحفنة من مستشاريه معلقين في الهواء . ولأن الرئيس احترم الشرعية الدستورية طوال حكمه ، لا يسعه أن يتصدى لجيش العسكريين بجيش من نوع آخر ، كما يعجز عن تسليح الشعب . والاجراءات المتأخرة مثل التظاهرات الشعبية الصغيرة التي تندلع هنا وهناك ولا تتعدى حدود الاحتجاج الرمزي ، فيفرقها الجيش سريعاً بقوة السلاح . فيستقل الرئيس الطائرة الى الاورغواي أو باناما بعد عجزه عن التصدي بقوة جدية للممثلين المسلحين لطبقته ولوزارة الخارجية الأميركية .

هكذا كان سقوط آربنز في غواتيمالا عام ١٩٥٤ (عندما أقدم الجيش الأميركي الشمالي على تدريب وتجهيز وتنظيم قوات المرتزقة بقيادة كاستيليو أرماس) ، وبوش في سانتو دومنغو عام ١٩٦٣ وغولار في البرازيل عام ١٩٦٤ ، فضلاً عن اروسيمانا في

الاكوادور ، وارينالو وفيديلا موراليس في أميركا الوسطى والعديد غيرهم ممن أطاحت بهم انقلابات عسكرية . ولا شواذ لهذه المأساة – المهزلة في تاريخ المنوعات البونابارتية عند البرجوازية الوطنية ، مثل فارغاس في البرازيل (عام ١٩٤٥) وبيرون في الارجنتين (عام ١٩٥٥) . فتتابع الفصول والمشاهد هذا لا يتغير جوهرياً . ويتبين من هذا التكرار أن تاريخ أبطال التيار الاصلاحي البرجوازي راسخ كعقيدة دينية . فالاصلاحية وما هو إلا تزمت مذهبي معكوس ، تحبس نفسها في حلقة مفرغة لكي لا تسمع دروس التاريخ . « إنها كالعنقاء الجميلة ، تموت عند العشية لتبعث حية في الصباح » . إن أبطال التقدم البرجوازي السيئي الطالع يميلون إلى المغامرات الفروسية إلى درجة أن مأساتهم تنتهي دوماً وأبداً بمهزلة .

ذلك هو الشطر الثاني من المعضلة : إن البرجوازي (أكان فرداً أو مجموعة أفراد) ، حتى ولو كان على قدر من الجرأة تمكنه من أن يأخذ العقيدة الوطنية لطبقته على ما تعنيه حرفياً – ولكن دون أن يملك من الجرأه قدراً يسمح له بالانفصال عن هذه الطبقة – وحتى لو أخذ على عاتقه مهمة إقناع طبقته بأن تكون مخلصة لنفسها ، أي لإصلاح المجتمع الاقطاعي على أساس

برجوازي ، لا يلبث أن يقضي مخنوقاً على يد طبقته نفسها التي تسلط عليه الجيش ، أداة سيطرتها السياسية . ودون أن يكون في ذلك ما يسيء إلى انسجامها مع نفسها ، فان البرجوازية الوطنية ، بفعلتها هذه إنما تكشف عن البعد الذي يفصل بين طبيعتها الحقيقية – أي كونها حليفاً للاقطاع الريفي ولرأس المال الأجنبي – وبين ما تدعيه عن طبيعتها ، أي كونها وطنية معادية للاستعمار . تحب البرجوازية أن ينظر اليها على أنها طبقة حازمة ، ولكن بقدر . فالفضيلة البرجوازية السامية ، في السياسة وغير السياسة ، هي الحل الوسط .

الثورة البرجوازية والثورة الاشتراكية

ما تفسير هذه المعضلة ؟ الوضع المتفجر الذي ولد الثورة الكوبية في أميركا اللاتينية– وهو برهان عليها لنفسها وللعالم. وهذا الوضع هو كالآتي: كما قيل عن روسيا عام ١٩١٧، كذلك نقول الآن أن أميركا اللاتينية اليوم حبلى بثورتين ، ثورة برجوازية ديمقراطية وثورة اشتراكية ، وهي لا تستطيع أن تطلق الواحدة دون أن تطلق الأخرى : «عندما ولادة الأولى،

لا تمتلك نفسها من إطلاق الثانية »[1] من هنا خطر الاتكال على « البرجوازية الوطنية » — حتى في البلدان التي تكون فيهـــا برجوازية كهذه في طور النمو — للقيام بالثورة البرجوازيـــة الديمقراطية ، ذلك أنها تدرك تمام الإدراك العملية التي ستطلقها إذا هي باشرت بذلك. والقول أنه قد وقع على عاتق البروليتاريا والفلاحين أن ينجزوا المهام التاريخيـــة التي كان المفروض أن تضطلع بها البرجوازيـــة ، يعني أن الخيار اليوم ليس بين ثورة برجوازية (سلمية) وثورة اشتراكية (عنيفة) ، كما كان يدعي القيمون على منظمة « التحالف من أجل التقدم » بالاتفاق مـع الاصلاحيين ، بل يعني الخيار بين الثورة والردة المضادة للثورة وهذا ما يعترفون بـــه الان . إن المعتدلين من دعاة « الحـدود الجديدة » قد تخلوا مؤخراً عن اعتدالهم (وهذه ميزتهم على العديد من الاصلاحيين) ورحبوا بالردة المضادة للثورة ، كما يتبين من «مبدأ مان » واعترافه بجميع الحكومات العسكرية. فالواقع ان للاستعمار خطتين إثنتين حالياً: إما أن تتماشى ولادة

---

١ — راجـع لوي التوسير ، « التناقض والفوق تحديـد » ، دفاعاً عـن ماركس ، باريس ، ١٩٦٥ .

الثورة البرجوازية الديمقراطية (عن طريق الانقلاب العسكري) واما أن تفرغها من محتواها (عن طريق الفاشستية الديمقراطية البرجوازية) إذا ما ولدت بغتة . إذا كان المخلوق قد ولد ، يسجنوه ، وإذا لم يكن قد ولد بعد ، يجهضوه. ولا يوجد حل ثالث ، مهما كان اعتقاد الشيوعيين الاصلاحيين اوالديمقراطيين المسيحيين في تشيلي . بل ثمة أزود من ذلك : منذ أن وضعت كوبا حداً لعدم الاحتراس – كانت الثورتان « الديمقراطيتان » في المكسيك (عام ١٩١٠) وفي بوليفيا (عام ١٩٥٢) العهد الذهبي للاهمال الاميركي الشمالي قبل قيام الثورة الكوبية – فإن الاجهاض على الطريقة العسكرية هو القاعدة الان. والدليل على ذلك هو سلسلة الانقلابات العسكرية خلال السنتين الأخيرتين .

حصيلة المعضلة : إن كل من يصر على لعب لعبة الثورة ، أكان ليبرالياً أم اشتراكياً ، من فوق (أي بدون تنظيم شعبي مسلح) وضمن قواعد الشرعية الدستورية ، أن يلعب لعبة غريبة الخيار فيها هو بين طريقين كلاهما خاسر . فاما أن يرسل اللاعب إلى السجن أو المنفى أو القبر (عن طريق انقلاب عسكري) ، واما أن يرقى إلى سدة الحكم كديماغوجي مسلح

مكلف بأن يرسل الثوريين إلى السجن أو المنفى أو القبر (كما بالنسبة للفاشستية الديمقراطية البرجوازية) . أما مصير اربنز (غواتيمالا ١٩٥٤) وأما مصير بيتانكور (فينزويلا ١٩٥٩): أما أن يذهب ضحية خيانة وإما أن يخون . وفي كلا الحالين ، فالثورة البرجوازية السلمية هي التي تدفع الثمن . وعندما يحين يوم المواجهة الفعلية ، في وقت لاحق ، فكل المطلوب يكون بعض البنادق الاضافية . بفضل سخرية التاريخ العظمى جرى تعميد أضمن طريق نحو مستقبل من الدموع والدم في اميركا اللاتينية باسم « الطريق السلمي إلى الاشتراكية » .

البرازيل : السيطرة على الدولة من الداخل

إن التجربة البرازيلية في « الاصلاحات الأساسية » التي أجرتها حكومة غولار ، قد اشتملت على كل الظروف التي تسمح بإحراز النصر : حركة جماهيرية جبارة تحظى بتأييد الحكومة المركزية ، واحد من أقوى الأحزاب الشيوعية في القارة وقد تغلغل في جهاز الدولة نفسه ، وجيش تمد الحركة الديمقراطية والثورية الجبارة نفوذها فيه من قمته إلى قواعده ،

أو هكذا كان يظن . فكان منطقياً أن يكون محط آمال جميع الذين يعتقدون في أميركا اللاتينية أن أوفر عملية هي السيطرة على الدولة البرجوازية من الداخل . إلا أن سقوط غولار ، ذا الصفاء النموذج ، خيب هذه الامال في كل مكان تقريباً. ولسوء طالع الحزب الشيوعي فقد جره غولار معه في سقوطه . وهو الحزب الشيوعي نفسه الذي قال أمين سره لأصدقائه المتذمرين قبل بضعة أيام من الانقلاب : «لا تخافوا . إننا حالياً في الحكم». وهكذا ، فالحزب الذي تغلغل في جهاز الدولة البرجوازية دون أن يفلح في السيطرة عليه نهائياً ، سمح بذلك للرجعية بأن تصيب عصفورين بحجر . أما الان فإن مناضليه لا يقوون على كبت ضغينتهم . ويبدو الحزب الشيوعي البرازيلي حالياً مشتتاً منشقاً نتيجة اصطراع عنيف بين مختلف الاتجاهات ، والتهم المتبادلة والتحليلات اللاحقة . فاليقظة الإلزامية مؤلمة بقدر ما كانت الأحلام جميلة .

كولمبيا : تنسيق النضال

إن مسيرة الصراع الطبقي الحقيقي الذي لا يرحم أحداً لا

تلبث أن تؤكد نفسها في نهـــاية المطاف . والحـزب الشيوعي الكولمبي ، بقيادة أمينه العام فييرا ، قد توصل إلى أن يتكيف مع أحكام التاريخ الموضوعية ، فأعلن تبنيه العلني لقضية فلاحي ماركويتاليا المحاصرين .

يمكن الافتراض بأن الثوار الكولمبيين – باقدامهم على تنسيق عملهم مع عمل الثوار الفينزويليين في منطقتي الاندي ولارا، وفي نقل النضال المسلح إلى السهول غير المحمية التي تصل بين هذين البلدين قد أسرعوا، على نحو فريد، في تحرير البلدين المتجاورين: كولمبيا وفينزويلا معاً . هكذا تحققت الان وحدة النضالات الوطنية التي بشر بها بوليفار والتي سوف تستنقع أميركا لمـــدة طويـلة بدونها . أما بالنسبة لأولئك ، المتناقصين عددياً يومـاً بعـد يوم ، والذين يصرون على رفض الاضطلاع بنقد جـذري لإخفاقاتهم (في بيرو وتشيلي والبرازيل) ، فإن أبلغ إدانة ضدهم هي صمتهم ، الذي يبرز اعتصامهم بالصبر تـــبريراً . فالصبر ، هذه الفضيلة الثورية الأساسية ، تفقد الاحترام المعقود لها عندما تتحول إلى ذريعة نظرية ضد جميع الحجج التي يتقدم بهـــا العقل والواقع . وبالمقابل ، فالجميع يـــدين نفاد صبر

الكاستروين الشباب عندما يعرضون أهداف الثورة ووسائلها على نحو حازم . ولكن من يلاحظ المفارقة التي تسلم أحزاب « الصبر » بمقتضاها للواقعية العمياء وللتحالفات غير المبدئية لأغراض انتخابية (مثل اولئك « الثوريين » البيرونيين الذين اقترعوا إلى جانب مرشح الديمقراطيين المسيحيين في انتخابات ليما البلدية عام ١٩٦٣ ، وتخلوا عن مرشح «الجبهة التحررية ») ، أي الذين يستسلمون ، بعبارة أخرى، لسياسة المكاسب القريبة المدى والخسائر البعيدة المدى؟ ألا يكون الصبر الثوري الحقيقي على عكس ذلك ، في عملية بناء القوة الأساسية للثورة بالعمل الطويل المدى ، وفي التمييز للمرة الأولى والأخيرة بين مختلف الرايات الطبقية المرفوعة (وهذا لا يلغي إمكان التحالفات ، طبعاً) ، وفي تجميع المستغلين حول نواة ثورية تنمو باضطراد مثل حركة ٢٦ تموز في كوبا، وجيش التحرير الشعبي في فينزويلا وميليشيا الدفاع عن النفس في كولمبيا التي تتحول إلى جيش غوار قبل أن تصبح جيشاً نظامياً ؟ أما « نافذو الصبر » ، فهم ينمون ، من جهتهم ، عن مرونة تكتيكية مذهلة ، ويواجهون بهدوء آفاق الحرب الطويلة المدى . إن نفاذ صبر الكاستروين لا يقول : « لنقفز إلى السلطة غداً » ، بل يقول : « مهما تكن

الطريق شاقة وطويلة ، ولأنها شاقة وطويلة بالذات ، ينبغي الا نفقد من أمـــام ناظرينا هدفنا النهائي في تحطيم الدولة شبـه الاستعمارية . هكذا نتفادى الانحرافات التي لا طائل تحتها» .

الابادة الجماعية ... السلمية

إن هذا التعلق بالفاعليـــة وبالضربات الموجهة ضد أسس الدولة ، وجيشها وشرطتها ، لا يسود أوساط الآلاف من المناضلين من غواتيمالا إلى البرازيل دون أن يكون له مصدر مشترك . نكتفي هنا بالاشارة إلى أحد عناصره فقط، دون اللجوء إلى تعدادها جميعاً . لا حاجة لتجميع الإحصائيات لكي نبين أن جماهير أميركا اللاتينية هي الان ضحية نوع من **الابادة الجماعية السلمية** يقوم بها الاستعمار والطبقات الحاكمة . لنذكر من إحصاء الذين قتلوا في الحروب التي تجتاح القارة دوريا هذا الرقم فقط : سقط في كولمبيا وحدها ٣٠٠ ألف قتيل في الفترة بين ١٩٤٨ و ١٩٥٨ . وفيما يلي رقمان آخران نختارهما من الاحصائيات الرسمية . في ضواحي ريسيف (في شمال شرق البرازيل) يموت ٥٠٠ طفل قبل بلوغ الثانية من بين كل ١٠٠٠

طفل وليد . إن متوسط العمر المتوقع للذين يعملون في مناجم بوليفيا أو في المزارع البرازيلية الكبيرة في شمال شرق البلاد يزيد عن الثلاثين سنة بقليل . هذا مثال عمودي عن أميركا اللاتينية . وتعرف أميركا اللاتينية حالياً زيادة سكانية (٣ بالمئة سنوياً) أسرع من أي زيادة أخرى في العالم الثالث . وتحول علاقات الانتاج الراهنة (وهي شبه إقطاعية بشكل عام) هذه الزيادة الى وضع متفجر . وإذا ما قارنا هذه الزيادة السكانية بمثيلتها في اوروبا ، نجد أن كلاً منها تنتمي إلى وحدة زمنية تاريخية مختلفة عن الأخرى . مثلاً : يحدد برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، الذي تبناه مؤتمره الثاني والعشرين ، فترة جيل واحد لبناء الشيوعية — أي نصف قرن كحد أقصى ، وحتى ذلك يبدو قصيراً في الواقع . غير أن الثوريين البرازيليين مثلاً عندما يحددون حداً أقصى زمنياً يقررون أنه يجب بناء مجتمع جديد بعد بضع سنوات لا أكثر (مهما بدا ذلك لا واقعياً بالنسبة لهم) . خلال عشرين سنة ، سوف يترك النمو السكاني في الاتحاد السوفياتي أفضل الأثر على نمو قواه الانتاجية ومستوى معيشته . أما البرازيل ، فسوف يضاعف عدد سكانها ، خلال الفترة ذاتها ، من ٦٠ إلى ١٢٠ مليون نسمة . بمعنى آخر ، إذا لم يعرف المجتمع البرازيلي تغيراً

جذرياً خلال تلك الفترة ، فإن عـــدد ضحاياه سوف يضاعف (أي عدد الأطفال الذين يموتون في ضواحي ريسيف) . ولعل ذلك من الأسباب التي تفرض على الرفاق في أمــيركا اللاتينية أن يعيشوا في حالة طوارىء دائمة ، وأن يختبروا ولعاً محموماً ملحاً يجعلهم في حركة دائمة . فلو أنهم استكانوا ، لماتوا بسهولة أكبر ، الواحد تلو الاخر . وهذا ولع يغذيه نفاذ صبر الكاستروبين من جهة وشعور غامض بالخلاص القريب ، وهو من شعائر المجاعـة التي تصيب الفلاحين في شمال شرق البرازيل ، من جهة أخرى .

عندما نعترف بهذا الفارق النوعي بين مختلف الأزمان في العالم ، يسهل علينا أن نفهم أن البون الذي يفصل بـــين الستراتيجية وبين التكتيكات المستجرة منها أضيق في أميركا اللاتينية منــه في اوروبا . وقد نفهم أيضاً لماذا الشعارات المنقولة مباشرة عن حركة الطبقة العاملة الاوروبية ــ كشعار التعايش السلمي مثلاً ــ تواجه الصعوبات الجمة التي تواجهها في ظروف أميركا اللاتينية .

يسهل الاعتراف بأن التفاوت في تطور العالم، وفي النمو السكاني بخاصة، يفترض تفاوتاً في أشكال العمل الثوري ووتائره. لكن، لماذا لا نطرح المسألة بوضوح ؟ فمـــن الواضح أيضاً ان مختلف فصائل الحركة الثورية العالمية قد تدخل في تناقضات ثانوية فـيما بينها إذا هي لم تعترف بالفروقات القائمة بينها .

الكاستروية واللينينية

يمكن أن نعزو العجز عن هذه الحقيقة الى تيار اصلاحي يصر على اعتبار المفهوم الثوري الكاستروي ، أي نظرية « البؤرة الانتفاضية »،مفهوما مغامراً مشبوهاً باستمرار وخطراً احياناً. ويرى أن السلوك الصحيح للطليعة هو كسب الوقت ، وتوفير القوى ، وتعزيز شرعية المنظمة بأي ثمن ، وإرسال أفضل المناضلين إلى البلدان الاشتراكية الاوروبية لتوسيع احتياطي الكوادر فيرجع هؤلاء في العديد من الأحيان فاقدي هويتهم الوطنية ، معزولين عن الوضع المحلي، فيتجاهلهم مناضلو الداخل أو ينبذونهم. وينظر التيار الاصلاحي إلى أية بادرة باتجاه النضال المسلح ، أي باتجاه الرد بالأسلحة غير الشرعية على الحرب غير المعلنة (تضم فيما تضم أمراض السيليكوس ، والطفيليات التي تصيب الأطفال ، والارهاب ، والموت البطيء) التي يشنها الاستعمار ضد المستغلين ، على أنها بادرة « غير ناضجة » في افضل الأحوال ، و « استفزازية » في اسوأها . اما بالنسبة لقادة ومناضلي المنظمات الكاستروية الجديدة وللكوبيين انفسهم ،

فإن ظروف النضال المسلح متوافرة بشكل عام : فهم يرون أن نمو التناقضات الموضوعية عرضة لأن « يسيطر عليه » أو يعرقل او يؤخر من قبل العدو ، إذا لم يسر ثوريو اميركا اللاتينية قدماً في طريق النضال الطويل للاستيلاء على السلطة ، عبر بادرات « واقعية » واعمال ثورية حاسمة . والذي يضمن هذه هو التفكير الجدي حول الظروف الموضوعية الذي يرفض ان يكون مجرد انعكاس لها . إن كل من ينظر من الداخل إلى التعارض القائم بين هذين الموقفين قد يلجأ إلى مخرج الحياد الزائف . قد يقال ان عيب الماركسية الاوروبية هو في وضعيتها (ذات القاعدة التجريبية) : « تكفي معرفة الظروف الموضوعية جيداً ليكون النضال صحيحاً » . في حين ان عيب الماركسية الكوبية هي في مشائيتها (ذات القاعدة المثالية) : « ليس من الضروري دائماً ان ننتظر حتى تتوافر جميع شروط الثورة ، ان البؤرة الانتفاضية كفيلة بتوفيرها » .

إلا ان هذه العلاقة الثنائية ، التي تقارن بين ظاهرتين ليستا متكافئتين ، تتسم باللاواقعية . وهي ، كأية نظرية زائفة اخرى ، تعجز عن توليد اية ممارسة وليست في الوقت ذاته تفكيراً حول ممارسة معينة . لقد حاولنا في مكان

آخـــر [1] ، إن المؤشرات المنهجية الــتي تقع تحت تسمية « الكاستروية » هي أضمن « دليل للعمل » في الظروف المحددة لغالبيـــة أقطار اميركا اللاتينية . هكذا فالتيـــار المسمى « الكاستروية » ليس غير اللينينية ذاتها . وليست الكاستروية ، بأي حال من الأحوال ، نموذجاً مغلقاً تستوعبه جماهير اميركا اللاتينية وتكرره حرفياً ، بل هي دليل الخطوة الأولى نحـو التحرر على الصعيد القاري . لننصت بانتباه إلى التقارير الواردة من جبال فينزويلا وكولمبيا المجاورة : ان اميركا اللاتينية على عتبـــة حقبة من المعارك اللامتناهية ، يمكن ان نتوقع منهـــا انتصارات عسيرة ولكنها أكيدة .

ريجيس دبريه ، ١٩٦٥

---

١ – راجع مقالة ريجيس دبريه «المسيرة الطويلة لاميركا اللاتينية»، تجارب اشتراكية ، دار الآداب .

صدر حديثاً

- **القيام بالثورة واجب كل ثوري**

  موضوعات الوفد الكوبي الى مؤتمر هافانا لتضامن شعوب اميركا اللاتينية

- **عجز التقنية الحربية الاميركية أمام الحرب الشعبية**

  نغويين خاك فيين

- **مرافعة أمام المحكمة العسكرية في بوليفيا**

  ريجيس دوبريه

- **دراسة عن الوضع الثوري في العالم**

  أرنستو تشي غيفارا

- **الفلاحون والثورة**

  حمزة علوي

طبع في



٢٣٧ / ٣٠٠٠

الثمن ٣

دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت